

سعد البواردي

# فلسفة المجانبين

الطبعة الأولى  
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م



سعد البواردي

فلسفة

المجاني

الطبعة الثانية

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النَّاشِر  
**تهامة**

جدة - المملكة العربية السعودية  
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

جَمِيعُ الْحَقُوقِ لِهَذِهِ الطَّبْعَةِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشِرِ

فلسفة المجانين





# الكجا

« إلى الكجا » ... إلى الجنون الذي أعجب بروحه .. بسموه .. إلى ذلك الصديق الذي أعجب به إنسان آخر .. إلى صديق - السباعي - في .. فلسفة الجن .. وإلى صديقي في فلسفة المجانين -

هذا « الكجا » .. هل عرفته ؟ إنه المخلوق الذي انصبت عليه شقاوة البشر، جنون البشر - فد في الفضاء يديه يطلب الغفران لمن ناصبوه العداة . ليعيد للأذهان صوراً من الحقيقة - بنغمات من الوجدان الحي - ولكن - آه - لقد قسا الجناة عليه دون أن يرحموه - ظلموه - صاحوا من حوله ، صفقوا من خلفه بكل ما يملكون - وصفوه بالجنون - وما كان بالمجنون - لقد راح يضحك بملء شذقيه - يملأ كل وجه بسمة عريضة - جملة عريضة فيها غموض الفلسفة - وهذوء الوقار - وخفقات التأثر - وبسمة المظلوم الصابر . هذا هو « الكجا » ذلك المظلوم المتحرك المملوء فلسفة وعقلاً وجباً ! .. لقد أحبيته - ومتى وجد ذلك الحب طريقاً إلى قلبي ؟ ! لقد أحبيته - بعد أن وصفه الناس ، جمهرة الناس بالجنون !! لقد أدركت سر نفسه - لقد ألفت المقاييس الكبيرة لنبضات خياله وأحلامه تتحرك وتقفز حتى لتكاد تنفجر .

لقد عرفت سر عظمة الإنسان ..

هذا « الكجا » .

هذا الدرويش الرث الثياب - العاري القدمين - المهدل الشعر - هذه الصورة للإنسان البدائي الأول ، أيام كان يعيش في جوتحكمه رهبة الضمير -

وعظمة الإنسان الساذج البريء.. وصفاء الطبيعة الوداعة الحاملة، ووسوسة  
النسيم الرافق الحبيب...

هذا «الكجا» لقد نبع في أعماقي بالأمس -نبع في أحاسيسه، في  
جنونه!! في سخريته وفي حبه- في انفراده.. ثم ألفتته يزاحمني حول كل  
طريق- يقاسمني كل نبذة، ويرتشف من فوق خدي دموع الحيرة البلهاء-  
الحيرة الكبيرة من جنون الإنسان. هذا «الكجا» لقد ألفتته يشق في ذهني  
طريق التفسير والقول، طريق المحاكاة والتأمل.. بل ويزحف ليقطع جذور  
الشك.. وهممة الأغبياء.. لقد ألفتته القوة التي تنبع من عمق الفهم لتعبر  
في سخرية الهدوء عن واقع مريض يئن فوق فراش كبير لا نهاية له، فراش  
الأرض..

هذا - «الكجا»- الزاحف على قدميه في دنيا العراء.. الصادح بأغنية  
قديمة طالما رددتها الريح وألقت بها من حول المضاجع المهذمة السادرة في  
فضاء الاتكال والحب المريض. إن ذاته التفسير للنشيد التافه الضارب في  
رحاب الفضاء.. النشيد الذي يرجع في بقاء وشوق: (لا حب إن لم تنس  
نفسك..)

هذا «الكجا» صاحب العمامة الكبيرة.. المسكين الذي تميزه البسمة  
-الترحم- والهمس- ثم ضرب الأرض في ثقة الأحياء حين يخطو- هذا  
«الكجا» كلفت لأبحث عنه- لا لأنه شريد أفردته الواقع، ولا لأنه وحيد  
شردته الحياة- ولا لأنه غريب امتلأت في نفسه صور مريضة وقاسية- ولا لأنه  
يبحث له عن ظل يمدد في رحابه جسده ففشل.. ولا لأنه ينشر الكلام من  
بين شفثيه في سخاء الأغنياء- وفي قوة الحق- وفي تفكير الفلاسفة فقط، ولكن  
لأنه الصورة الكبرى، الصورة للإنسان الذي زحمته مناكب الشرافاتكأ، اتكأ  
ولم يسقط- ولم يتألم- وإنما ترخم على صانعي الشر- على القيود التي صنعها  
الإنسان؟! هذا «الكجا» -المجنون- والعاقل الهادئ الشائر.. والبعيد..

القريب، هذا الغريب الحبيب الذي يمنحك البسمة بلا حساب- ويسوق إليك التحية في معناها الواحد- هذا الإنسان الذي سخرت منه الملايين، قرت به السجون.. ووجد في كل طريق سياطاً تؤذيه- وقسوة تصرخ في وجهه- وسخرية تتسابق إلى أذنيه- وزرابة تتلاحق كالظل. هذا التائه- المسكين المندفع وراء عجلة الأعوام- هذا الجبار المتمدد على مجاديف الخطيئة- هذا الوداع الذي أفرغت الحياة في أذنيه- وفي قلبه- أفكارها- وحبها- إنه ذلك الصدى الحبيب الذي ملأ من حوله ألوفاً من صور- من حياة البشر.. من لهيب النار- ومن صقيع الجليد- ومن دفء العاطفة، ومن ومضات النجوم- ومن تقطيع الدجى- ومن معاني الألم- من ألوان الحقيقة الكبرى- الحياة الرهيبة المتضاربة.

هذا «الكجا» الذي يعيش في رحاب العقل- ويوسد رأسه الكبير فوق صخرة صماء- إنه (الموسوعة) الطاقة التي تهب الحقيقة، تعطي في ذلك فلسفة الإنسان الأول، الفلسفة الهادئة الوقورة المشبعة بالحقيقة..

إنه المرأة التي ستعكس المرثيات بما فيها من جمال- بما تحويه من جلال- وظلال- ودموع- إنه الشاشة- إنه الصور المتحركة- إنه الصدى الذي يملأ أذنيك بألف نغمة ونغمة، إنه الحقيقة ولكن لعقلاء البشر- لعقلائهم فقط دون المجانين..

أطل عمره يا رب، فما أحوجنا للعقلاء أمثال هذا المجنون!!.. الهادىء.



## المزرعة الرهيبة

صديقي «الكجا»:

بين الأمل، وبين الألم يولد الإنسان، يترعرع، يشب، ثم يشيخ، فيموت، وتلك هي الحياة، مبدأ غامض، صورة باهتة وإطارها أخاذ، أما حواشيها ففقائمة تسلمك إلى الخوف، إلى الملل، وإلى الضجر.  
وحياة البشرية يا صديقي «الكجا» تلك الحياة العائمة، الهائمة، الضاربة في متاهات الزمن الموحش، إن هي إلا تجسيد للصراع المحتدم بين قوى الخير، وقوى الشر. بين الفضيلة والرذيلة، بين مجرى الضياء، وبين مهاوي الظلام.

والحياة بما تحوي من خير وشر، مزرعة كبرى، تغرس، وتنمى، ثم تحصد، ثم تستهلك ذلك الحصاد، تطويه في أعماقها إلا ما نشره ذلك الحصاد من أريج، ومن أنفاس، سرى بها النسيم، وتشبع بها الأفق، وحملها البقاء فوق أكتافه العراض ليلقي بها حول أنف التاريخ!.

إن الحياة مزرعة، فلاحها القدر، اما مجارها فأيام الزمن، أما بذورها فأرواح البشر، أما ماؤها فالقيم التي شرعتها السماء، المبادئ التي سنتها العدالة، دلت الناس عليها، والناس بين قوم، وبين منحرف.  
بين إيمان، وبين شك.

بين إيجاب، وبين سلب!.

والشيطان يا صديقي «الكجا»، ما أبعد وأقساه، إنه يقتنص الفرص، إنه يلعب بالرووس، إنه يعكس الحقائق، إنه يخدع!، إنه يزرع الشكوك، الأنانية، حب (الأنا).

والبشرية الهائلة في متاهاتها مجبولة على عبادة الذات، الأطماع الفردية،  
المصلحة الخاصة!

وحول ركن الذات، حول الأطماع، أمام محراب الجشع يتحقق اللقاء..  
الإنسان!! والشيطان، وما أقسى مثل هذا اللقاء، ما أمره!  
وللذات نداء صارخ رهيب يا صديقي «الكجا»، نداء يهز الأعصاب،  
ويثير الحقد، ويشعل الدنيا بلهب الدمار والفناء، والخطر، يدفنها تحت  
الرماد الأسود!

لقد خلقنا الله إخواناً، نستظل بالإخاء، بالحب، وباللقاء، وبالتجاوب  
الرحيم بين القلوب، ولكن أطماع الإنسان، ولكن لقاء الإنسان مع الشيطان  
حول محراب الجشع والأطماع الصارخة أدمت كبرياء الفضيلة، أثارت  
الأحقاد، أراقت الدماء، وألقت بملايين الجثث البريئة طعمة للسباع، طعمة  
الضياح المجنون، طعمة الرغبة الرعناء، الرغبة التي باركها الشيطان، ونفذها  
الإنسان، كان لها الأداة الطيعة المسكينة!

أين هو المبدأ؟!

أين تكون العدالة؟!

أين هي الرحمة؟!

وأين يكون العقل؟!

ولا شيء يجيبك سوى همهمة من فم الأقدار، من نشيج الفضاء  
الحزين، وهو يلقي على أذنيك وسوسة غامضة مبهمّة تحمل سر الحقيقة، معنى  
السلام الذي كفر به الإنسان، ومعنى الحب الذي ركله الإنسان بقدميه،  
ركله، وركله معه الشيطان وكان يبارك له الانتصار.. على الأرواح، على  
الدماء، على الجثث، على الآمال التي حطمتها قسوة الذات فتلاشت في  
ضباب اليأس تلعن الإنسان، تلعن الإنسان العظيم الجائع المتعطش  
للدماء، تلعن الشيطان الأكبر أو الأصغر، تلعنها معاً!

ورغم مرارة الموت، ورغم صرخة الدماء، ورغم رهبة الجثة الجامدة الصفراء  
الموسدة التراب، رغم الفناء الرهيب المرعب!! ما حاول الإنسان مرة أن يقبر ذاته  
في محيط المجموعة البشرية، في أفق المجتمع السليم المتعاقب في أجواء اشتراكية  
حاملة تنعم بالحب، بالإيثار، بالوئام، وبالسلام!.

لقد عاشت معه أنانيته الهوجاء تذكّي في أعماقه حب السيطرة، رغبة  
الاستعباد، تشدّه إلى هيب النار. والأنانية -قاتلها الله- لا تعترف بالنور، إلا من  
خلال أفواه المدافع وضباب الانفجارات المروعة من أدوات الدمار، والإبادة،  
والموت!.

لقد زرع الشر، زرعه بيديه، بجنونه، ثم رعاه بدماء الأبرياء، وبالأطلال  
الخربة الصامتة التي تثقل جبين الأرض بالركوع الحزين الطويل!.

هذا هو الإنسان الذي صنع (المدنيات!) خلق معجزة القرون كما يطلق على  
ذلك تاريخ العقلاء!! لقد بنى بأمجاده، بذكائه، وبمفاهيمه الكبيرة برجاً سامقاً  
على منكب الأرض لإجراء تجاربه «الذرية» و«النووية» تقبر ما صنعت  
الأجيال الطويلة من تاريخ، من كفاح في سبيل البقاء!.

وأين هو العقل؟! أين هو ذلك الجبار الذي سيطر على الطبيعة، وقبض على  
السلطة في هذا الكوكب الفسيح؟ بما صنع من قوى، وبما أوجد من عناصر تحمل  
مستقبل القافلة التي تسير على دروب الحياة؟!

أين هو ذلك العقل؟!

ألا يستطيع السيطرة على جنونه؟! على مهازله الكبيرة؟! أم أنه فقط  
اكتفى، اكتفى بالسيطرة على إحياءات عقله، على كبته، على إحراقها في هيب  
النار التي أشعلها لمستقبل البشرية؟! ثم نام، نام على أنغام زممار العاطفة، دون  
عقل.

اللهم ارحم هذا الإنسان، الإنسان المسكين التائه، خذ بيده يارب، لتهتف  
معي يا صديقي «الكجا» لتدع لهذا الإنسان باليقظة، اليقظة من سدارته

الطويلة، من جنونه، ولنردد في حب ما قال شاعر الهند وفيلسوفها العظيم،  
«رابندرناثاغور» وكان يناجي أباه، يناديه بعقله فقط! عقله المجرد من كل أنانية  
وذات: (حيث العقل لا يخاف، والرأس مرفوع عال، حيث المعرفة الحرة، حيث  
العالم لم تمزجه جدران التعصب، حيث تخرج الكلمات من أعماق الحقيقة،  
حيث تجد المحاولة التي تمد ذراعيها إلى الكمال، حيث لا يفقد جدول العقل مجراه  
إلى صحراء التقاليد المميّنة، حيث العقل في تقدم دائم نحو ساحات أفسح، في  
الفكر والعمل، تحت هذه السماء من الحرية يا أبت دع وطني يصح!).

والى عودة أخرى معك أيها الحبيب.. إلى فلسفة المجانين أيها المجنون، حيث  
التقي بك في زحام الندوة الحبيبة، لأحكي لك خاطرة مجنون، خاطرة جديدة!.



# البصيرة التي لا تبصر

صديقي «الكجا»!

ما أفسى المنطق حين يتجرد الإنسان من منظار عقله .  
ما أفسانا حين نتحدث ، ثم ما أفسانا حين نحب وحين نكره ، وحين نختار .  
إن دافعاً من الوجدان لن يكون أبداً لنا بمقياس ، إننا نحب لغرض ، ونقلي  
لغرض ، وما أسرع ما نحب ، وما أسرع ما نبغض ، ثم ما أسرع ما نتقرب إلى فرد  
كنا بالأمس لا ننظر إليه ، نذريه ونكيل عند ذكر اسمه كل سباب وشتائم ! .  
إنها الصدف يا صديقي «الكجا» الصدف فقط التي تدفعنا وراء الحب ، بلا  
مثل ، وبلا مبدأ ، بلا غريزة مستأصلة في أعماق الإنسان !  
كم هو منطق ساخر ذليل هذا الذي نملاً به الفضاء في مديح تارة ، في هجاء  
تارة ، ثم في شكوك تارة أخرى .  
المنطق الذي لا عمق له ، وإنما تجمع ، وإنما تكونه ظروف الساعة التي يحياها  
لتبني جذوره ، لتصنع ألفاظه ، ثم لتقذف به نحو آذان الناس في صفاقة هوجاء  
منتنة !

حسبنا يا «كجا» أن نستحي من السماء ، أن نخجلنا الضمائر ، وأن نذري  
المراوغة التي بذرت في أعماقنا البلبلة والرعدة ، والاستهانة بسرد الحقيقة .  
أمن قولك لعدوك إنك كرهته لكذا ما يزعج المبدأ ، سيما وعدوك لا تجهله  
الحقيقة؟! أو تجهله!

قد تقول : إنه (تصنع) إنه ضرب من السياسة التي توجه قافلة البشرية  
اليوم ، وقد تقول : إنه المجاملة ، ولكني أقول لك إنه الكفران بالحقيقة ، إنه  
الازدراء بالدوافع الأصلية التي تؤمن بها ولكنك قبرت أصداءها في نفسك ! ، إن



عليك أن تقول الحق ! ثم اِمنْ قولك لعدوك مرة أخرى : إنك صديق ( ما يدين به ذلك العدو ) وما يتقبله ، وهو يدري عنك ، عن قلاك له ، ربما ما لا تدري به أنت ؟ !  
والأهم من هذا يا صديقي « الكجا » هذه النظرة المقيدة الذليلة التي يشفعها الإحتقار المر . النظرة للفقير الذي جردته الحياة من أوضار المادة ، وبان في أعيننا نصف إنسان ، بل وأقل من نصف إنسان !  
فقير !! يا الله !!

لكم التقينا به وكان يسحب أذيال فقره ، أسماله الممزقة المهلهلة ، بدأنا السلام ، ولكن ، السلام !! ومن فقير ! آه ، إنه سلام لا يجزىء ، لا يستحق الرد ! .  
وحين يطمع منا في كلمة ، حين يتقدم إلينا بسؤال ، لا نملك إلا إشاحة وجوهنا عنه ! الازورار عنه ، ثم إهانتته بالصمت ، إنه فقير ، والفقير نصف إنسان أو أقل من نصف إنسان ! يا « كجا » هكذا نتمثله .

إن روح الإنسان كما نراها بمجهننا المزيف ، بمنظارنا الأسود ، هي ذلك الحطام من المال الذي تحويه خزينة الإنسان فقط . أما أخلاق الرجل ، أما خلال الرجل ، وأما عقل الرجل ، فهذا كله شيء تافه ، تافه في نظرنا لا يملأ الكفة الأخرى لميزان الإنسان !

سبحان الله ! ما أقوى البصر ! ولكن ما أشد عمى البصيرة يا « كجا »  
إن كفة الخير التي تمثل المخلوق في معنويته ، في عظمته ، لا وجود لها أمام كفة ( المال ) أمام ( أوضار المادة ) ! لقد عرفنا الإنسان فقط ، عرفناه بالمال ، للمصلحة التي سنكسبها منه ، وقد لا نكسبها منه ، وقد لا نتذوق لها طعماً !

انظر يا صديقي « الكجا » انظر إلى الحياة ، ثم اسأل الألوف من الناس ثم قل ما شئت ، إنك ستتحير ، ستملاً أذنك رعباً بما سيتناهى إليك من حقائق مرة ! .

أعرفهم أيها الحبيب ، لقد كانوا أغنياء الأمس ، لقد ركع الحظ تحت أقدامهم ، وكم مع الحظ من أصدقاء أيضاً ركعوا أمام الأقدار ! .

أولئك الأغنياء يا «كجا» لقد كان فيه الرجال، كانوا عمالقة الخير، البر، والصلاح، كانوا بناء حاضريهم.

ولكن، ما أروع الظروف، إنها لا تخلص لأحد، لقد جردتهم الحياة من كل ما يملكون، إلا من الخير، ومن البر، والإصلاح. لقد جردتهم فقط من المال، فهل ظل أولئك الأصدقاء أوفياء للخير، وللبر وللإصلاح؟!؟

ويح الإنسان ! كم اختار المال على الفضيلة، تهالك حول غبار المادة، وأدار ظهره حتى لا يبصر شموع المصلين!

هذه بعض الحقائق «يا كجا»، بعضها فقط، وكم ستضحكك وتبكيك حقيقة أخرى، حقيقة من الواقع، من صميمه، إنها ستطالعك في كل مكان. أتدري بماذا يصف الناس ذلك الإنسان الهادىء الوقور الذي لا يؤذي من الناس أحداً؟!؟

ثم أتدري ماذا يقول الناس عن ذلك السليم القلب، الصافي السريرة، الذي يضحك لك حين تبكيه، ويستغفر لك حين تؤذيه، ويدير لك خده الأيسر وقد ملأت خده الأيمن شقوقاً وأذى؟!؟

إنه في نظر الناس يا «كجا» (سقيم) ناقص عقل، ومعتوه! هذا هو المنطق الذي يثقل أسماع البشر، وتأنف منه السماء!. المنطق الذي ننصت له وكأن على رؤوسنا الطير!.

إنها النزعة المريضة الكامنة في أغوار الإنسان، تلك هي الخيوط التي تشدنا إلى من نخافه، تشدنا إليه في طاعة وفي عدم طاعة، في حب وفي غير حب. أما ذلك المعدم، وأما ذلك البريء الطاهر، فما أحرانا أن نكون له أداة ساخرة تهزأ منه، وتصفق عليه.

تلك هي النزعة المريضة التي يكتفها الخوف، والطمع، لا الحب، إنها تصور أحلامنا المزيقة في خطوط مصطنعة براقه، ولكنها السراب الذي لا يطفىء جذوة من عقل، ولا لهيباً من مبدأ!

ترى إلى أي مدى سنندفع ونسير وراء قافلة المادة والعاطفة؟!  
ألم يكن للإنسانية من سبل إلا هذا السبيل؟!  
أين هو العقل؟! ثم أين هي الإرادة؟ ثم أين هو ذلك الكائن الذي يستطيع  
أن يقول على مسمع من الناس:  
( قفوا، من هاهنا يجب أن نسير، وهذه اللَّيَّات يجب أن نبني مجتمعنا  
البشري الصالح).  
يقولها بعقله، يتطلع إليها بمنظاره الأبيض الشفاف الذي يجسد الحقائق،  
ويضاعف في صور الحقيقة، وينتصر للروح، ينتصر لها أمام جحافل النفعية  
واللزومية والمهرجين.  
اللهم نصرتك للعقل فهو أقدس ما منحته لخلقك، قل: (آمين) يا «كجا»،  
وعود حميد إليك بإذن الله.



# أغنياء.. أغنياء

صديقي «الكجا»!

اصدقني؟!

هل كنت تاجراً يوماً من أيام عمرك؟ هل جمعت في حوزتك المال بتلك  
الكيفية والأساليب التي يطبقها إخوتنا الأغنياء هنا، هنا في هذه البلاد؟  
إخوتنا الأغنياء، أو الأغنياء كما يجب أن يطلق على كثير منهم؟!  
اصدقني يا «كجا»، قل لي شيئاً عن مرحلة الأتعاب المتوالية التي واكبتك  
وأنت تملأ خزانك بالنقود، وتملأ عينك ووجهك بغبار الطريق!.

إن في صمتك. وفي سحتك الوادعة العميقة، وفي خطوطك الصفراء الباهتة  
الجعدة الغور ما يوحي بأنك لم تتذوق عمرك طعم الشعب بل الغنى، لقد رأف بنا  
ذلك الفقر. لقد صافحنا، عانقنا. لقد اختارنا حتى لا نحرق سعادتنا، قوانا،  
وطمأنينتنا في هيب السباق التائه الشارد، السباق لاقتناص المادة، لكم رأفت  
بي وبك الحياة إذ كنا فقراء. وقد يقولون عني: (إنني إنسان فاشل حاول أن  
يغطي فشله فالتجأ إلى تشويه المادة، إلى امتداح الفقر).

وقد يتذكر الكثير من القراء حكاية الثعلب الذي حاول تسلق شجرة العنب  
لاقتناص عنقود يتدلى في شبع، وحينما أعيته قواه جر قدميه في تململ وتصنع  
وكان يتمم:

(عنب حامض لا يصلح).

قد يرى كثير من القراء في هذه الحكاية ما يذكرهم بفلسفة المجانين. أعني  
رأبي الذي أعنيك به يا «كجا». ولكن تمهل، ولتنصت إلي، ثم لتحكم على

هذه (الفلسفة) العجيبة، ثم لتقل رأيك فيها كقارىء. كإخوتنا القراء، إنكم أحرار فيما تقولون! هناك يا «كجا» كلمة موجزة فيها عمق تقول:  
(الثروة أن يخدمك المال، لا أن تخدم المال).

هذا شيء صحيح، شيء لا يحوجنا إلى دليل، إلى أخذ رأي أحد! فلنطبق هذا المثل بحذافيره، لنطبقه بالنسبة لأغنيائنا، ثم لننظر أكان هناك وفاق بين ما نعتقد وبين ما نعمل؟  
أتُنصت إليّ قليلاً؟

«أفي مقدورك يا «كجا» أن تدلني على غني واحد فقط أدرك في يقين لماذا يحوي المال، أدرك الواجب فيه، أدرك المطلوب منه من المال، ثم عمل على ضوء من يقينه ومن فهمه؟ قل لي إن تاجراً في كذا عاش سعيداً بماله، خدمته تلك الثروة، لم تحرق أفكاره ولم تجرد شفتيه. ولم تسلبه لذة النوم. ومتعة اليقظة؟ ولم تسلمه للمتاعب؟ قل لي إن تاجراً في كذا لم يخدعه ما جمع. لم يمنعه من أن يقيم المشاريع، يدعم اقتصاد وطنه، يسد عوز إخوانه، وفيما قلت جميعه المنفعة كل المنفعة، والخير كل الخير له.

قل لي يا «كجا»، إن تاجراً في كذا فرق بين مسؤولية المال، وبين مسؤولية الروح والجسم، لم تستغرق أنفاسه اللاهثة المبهورة كل ساعات نهاره، بل ومعظم ساعات ليله، إن لم يكن جميعها؟!

إنك لن تذكر لي أحداً، إنك ستجد، ستطرق. ستحرق خيالك بالتفكير الطويل، ولن تجد ممن عنيت ما تملأ منه صفحة الجواب، إنك لن تجد أحداً.

إنهم ألوف، وأعني بالآلوف أولئك الذين يهيمن الفرد منهم على عشرات الملايين؟! أين هو ذلك الفرد الذي بنى بما يملك مصنعاً، أو شاد ملجأ، واستغل طاقته المادية في خلق نتاج يسد حاجة البلاد، يغنيها، بل وينقذها من ويلات شركات الاحتكار الأجنبية التي لا ترحم؟!.

أين هو التصنيع يا «كجا»؟ ونحن في زمن توافرت فيه عناصر القوة، ومقومات النجاح، المادة والثروات الهائلة (الخام) التي تتنفس تحت أقدامنا في ضيق وتبرّم، في انتظار من ينتشلها من مقبرة الأرض، والأيدي العاملة، وما أكثرها، وما أسرها، وما أقدرها على أن تبني بسواعدها المفتولة وقائع مجد مجيد في عالم الإنماء والاستثمار والتطوير.

ثم أين هي الثقة بين غني وآخر؟ أين هي الجمعيات التعاونية؟ أين هي المؤسسات الشعبية الموحدة التي تربط بينها وبين المصالح، وعناصر الثقة؟! إنك لن تلقى إلا الفراغ، إلا الصمت القاتل، وإلا التهاك حول مصلحة الفرد، ثم شد تلك المصلحة بخيط وثيق متين، ثم إقحامه في أكثر من خزانة حديدية، حتى لا يرى الشمس.

هكذا فهمنا أيها الحبيب معنى (الثروة) تكديساً للأوراق، احتكاراً للأسواق. ثم تعلقاً صارخاً بأذيال الغزو الجنوني لجيوب الناس، دون ضمير، ودون شرف، ودون حياء.

تجده في الثمانين من عمره يلهث كالمسعور، إذ لا ينام، لا يستقر على مائدة طعام، لا تنهأ به أسرته وأطفاله، وإنما في إطراقة ووجوم، وفي هرولة لا تنقطع لها خُطأ، لقد نسي نفسه، نسي سعادته التي جمع من أجلها المال فشقى.. نسي أطفاله، ثم نسي أنه على بعد خطوات فقط من قبره، إنه في حاجة إلى أن يهدأ. أن يسعد، وأن يستظل بظلال الثروة التي استهلكت من عمره الأعوام الطوال، لقد نسي أنه يطالبها بأن تحفف من جبينه عرق التعب، أن ترد إلى جفنيه إغفاءة الحلم اللذيذ، وأن تحمله على متنها مرغمة صاغرة!.

قل لي يا «كجا»: هل آمنت معي بصدق الحكاية، وبسلامة الرواية؟! إنك لن تحتاج إلى كبير جهد أو تعب لتدلل على صحة ما قلت، فقط إن عليك أن تحمل قدميك العاريتين، أن تودع كوخك الصامت لتتقم نفسك في عراك المدينة. أي مدينة، وسترى. أنك لن تحتاج إلى من يدلك على أبواب الملايين،

تطلع بعينك المفتوحة الواسعة، انظر إلى التجاعيد، إلى التقطية، إلى القسمات  
الكالحة الغبراء، إلى الشفاه الجافة، إلى السيقان المتناطحة المندفة في جنون، إلى  
الأنفاس اللاهثة المحرقة.

إنها العلامات الفارقة التي تدلك على أرباب الملايين، أما أولئك الفقراء،  
وأما أولئك الذين يجدون فقط ما يسد عنهم العوز، فإن بسمه تخفية تطالعك على  
وجه كل منهم، إنهم سعداء رغم ما يحسون. وصدق الرسول حين قال: «اللهم  
أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين»! وداعاً.



# العيبُ الاتحاول الصُّعُورُ

صديقي « الكجا » !

يقول المثل : « ليس عيباً أن تزلَّ قدمك فتسقط من القمة إلى الحضيض، إنما العيب أن تذهلك السقطة فتظل حيث أنت دون أن تحاول الصعود » !

هنا .. هنا في هذا المثل تتجلى لنا الحقيقة الممتلئة بجذورها وبتفرعاتها، وبإيجابها وبسلبها، بصعودها وبجمودها، فإنا كان الإنسان بذلك المعصوم فلا يعتوره الخطأ، وما كان الإنسان بذلك القوي المتماسك القوي فلا يتطرق إليه ضعف ولا تخاذل، فعظمة الإنسان جذوة تتراقص في محيط الزمن فتشع تارة، ثم تحبو أخرى ليمتد لسانها من جديد، وإحساس المرء يا صديقي « الكجا » بقدرته على أن يخلق كيان وجوده المعنوي هو إحساسه في أن يتعلق بأسباب الصعود والارتقاء، ثم مواراة الفشل، الانزواء في عالم أشل لا حراك فيه.

والعقل الجبار يرسم الخطأ لعبور التاريخ، يرسمها بما تحويه من مفاوز، من حفر، من صخور، ومن آلام، وحين يقع في تلك الحفر، وحين يرتطم بتلك الصخور إنما هي طريقه إلى الكسب، إلى الهدف، فهي لن تنال من إيمانه، وهي لن تحدد من قواه، وهي لن تنشر في نفسه سموم الشك، ولا غيوم الحيرة، فقد كانت له على بال، لقد رسمها لعبور تاريخه كزلفة من الزلفات الموصلة إليه. والعقل الجبار يا « كجا » هو ذلك الذي ينتفع بالفشل، يأخذ منه الدروس لمستقبله، و يأخذ منه الحيلة والحذر عندما يخطو من جديد.



وما عرفت البشرية إنساناً جمع في حياته أطراف الانتصارات والصعود فقط دون أن يتعرض إلى هزيمة، وإلى فشل، ولكن العظيم هو ذلك الذي لا يبهز الانتصار، كما لا يقهره الفشل، هو ذلك الذي حين يهوى من السَّلم يلتمس لصعوده طريقاً جديداً أقوى وأدعى إلى الطمأنينة والثقة والارتقاء.

وما أولئك الذين تذوب قواهم، وتتجمد أطرافهم عندما يفشلون إلا ضعاف العقول الذين فاتتهم فلسفة الحياة، وخُطأ الحياة، فارتطموا بمفاهيمهم المبتورة العمياء، وانكفؤوا يندبون حظوظهم وماضي أيامهم.

إن العبرة ليس أن نعيش، ولكن العبرة أن نعرف سبل العيش والبقاء، أن نتعاقب مع الانتصار ومع الهزيمة، مع الصعود ومع الانحدار، ولكن في سبيل الانتصار وفي سبيل الصعود فقط.

أعرفه يا صديقي «الكجا» لقد كان ثرياً كبيراً، يحوي في خزانته مئات الألوف من النقود، لقد ضمها إليه من كذبه وكدحه، لم يأخذها عن ميراث، ولم يجمعها عن طريق محرم!. إذ لو تحدثت تلك النقود لأحصت لك أنفاسه وخطاه وعرق جبينه منذ أيام شبابه! وشاء القدر أن يصاب بنكسة في ماله، فلم يعد يضم في خزانته إلا الفراغ وإلا الإيمان والثقة بكسب المستقبل من جديد.

ولم تمت في جوانح ذلك الرجل رغبته، ولا قواه، لقد أحس أنه هوى من القمة إلى الخضيض، فبعد أن كان سيد القوم جاهاً ووجاهة وجمعاً كان ذلك المعدم لا يلتفت إليه أحد.

ولكنه أمسك بعقله، ومن أمسك بالعقل يا «كجا» لم يفته شيء، لقد عقد الخنصر والبصر، ثم فكر. ألم يكن هو ذلك الفقير، الفقير منذ عشرين عاماً؟! وابتسم، ابتسم عقله الكبير، فهو ما برح حياً، وطرق العيش، وأبواب الرزق ما برحت مفتوحة لكل من يسعى إليها، وتناسى ماضيه

الغني، وراح يصعد السلم من أولى درجاته، لقد ألقى نفسه تقفز درجة درجة دون أن يكل ويمل. لقد بدأ مراحل سعيه خادماً بمرتب زهيد، ثم صاحب حانوت متواضع بدأ يفتح ذراعيه اتساعاً وشيوعاً، ولم تكن غير أعوام مضت حتى بزغ نجمه من جديد، حتى كان هو ذلك الغني صاحب الجاه والوجاهة والذي يخطب الناس له الود والتقرب إليه.

ومثله مئات الناس وألوف الناس يا «كجا» في كل الميادين، ليس في التجارة فحسب، بل وفي السياسة، في العراك، وفي كل ضرب من ضروب سعينا وكفاحنا! فأين من الناس اليقين؟ وأين من الناس (الثقة والاعتداد بالنفس يا كجا؟) إن فينا الفرد — وما أكثرهم من أفراد — تموت في نفسه دوافع السعي والمقاومة، يلتجئ إلى حيرة لا تكاد تنتهي كلما ألتمت به نازلة، وكلما تطلع إلى أنقاض عشه وقد التهمت حروق الزمن، فأثت على الأخضر فيها واليابس، وكأن مواصلة السعي من جديد، وكأن بناء عش جديد وبأعواد جديدة قوامها العمل والكسب لا يجدي.

إن تاريخ الإنسان كالصرح الشامخ لا تقيمه لبنة واحدة، ولا جهد ساعة، إنه تاريخ ذو مراحل متعددة يستغرق من الزمن أطوله، ومن اللبنة أكثرها، وما أسرع ما ينهار ذلك التاريخ، وما أسرع ما يشاد من جديد في دعامة أقوى، وفي مظهر أبعد. والعقيدة ثم الثقة، ثم العمل، تلك هي الأثافي الثلاث التي ينتصب عليها البناء الثابت القوي الذي لا يتزعزع أو يموت!..

وبعد، يا صديقي «الكجا» ألسنا معنيين بالآ تذهلنا السقطة؟ وما دمنا نملك السعي، وما دمنا نملك الوقت الكافي من الزمن، بل وما دمنا نملك أكثر مما يملكه غيرنا من العناصر التي تضمن النجاح أو تكاد، لم بتنا حيارى ودرجات السلم تلوح، وتلوح، وتدعونا إلى أن نصعد، إلى أن نتربع على عرش الذروة؟ إن الطريق مفتوح، والسبل واضحة المعالم، ولكن جهودنا ما

أسرع ما تتخاذل وتنهار حين تصطدم بعارض ولو هزيل صغير لا خطر منه،  
فالحياة كما عرفناها ذلك الطريق الرحب الممتد الأطراف، المعبد السبل،  
المفروش بالأزهار والرياحين!.

نعم هكذا عرفنا الحياة يا «كجا» نسينا أن نذكر، أن ندرك الزاوية  
الكبرى، الجانب المهم من جوانب الحياة، نسينا أن نتعرف مواضع  
الصخور، والحفر، ونسينا أن ندرك أن الحياة طود سامق شاهق يحوجننا إلى  
بذل الكبير من القوى للتغلب عليه، لقهره للتربع على قته.

ونسينا يا «كجا» أن ندرك شيئاً آخر هو أنه لا بد لصاعد الجبل من  
عشرة، من زلة قدم، ومن توقف، وبالغ الذروة من تضطره العثرة إلى متابعة  
السعي، إلى الإصرار على ألا يقف أمام صخرة اعترضت طريقه، ألا  
يتخاذل، وأن يدفع بمطيته إلى طي الطريق في ثبات وثقة، نعم يا «كجا»  
في ثبات وثقة، فليس العيب أن تزل أقدامنا فنسقط، وإنما العيب كل العيب  
ألا نحاول الصعود مرة ثانية من حيث سقطنا، أما بلوغ النهاية فأمر تقرره  
الأقدار وحدها، الأقدار يا «كجا» ووداعاً.



# القدرة على تغيير الأخطاء

صديقي «الكجا»!

ارفع يديك نحو السماء، وردد معنا هذا الدعاء الذي رتلته «بيتر مارشال»: (يارب إن أخطأنا فامنحنا القدرة على التغيير، وإذا كنا على حق فأعنا على أن نعيش مع الحق).

ما أروعه من دعاء يصور لي ولك جنبات الحق، زوايا الفضيلة، ودعامات البناء المنبثقة من العقل الملهم، ألا نتفكر؟! (يا رب إذا أخطأنا فامنحنا القدرة على التغيير) التغيير لذلك الخطأ، إزالته، ومحوه من عالم الناس، الانتصار للصواب، لإثبات الحق مكان الباطل، وللعمل على ألا يكون هناك باطل.

والسر هنا يا صديقي «الكجا» هنا في الكلمات البسيطة اللطيفة المملوءة معنى وعمقاً؟.

ترى أين تكون القدرة على تغيير الأخطاء؟! أعلى الناس فقط؟! أم على أنفسنا أيضاً؟! وأين هي حدود القدرة؟! وبأي لون يجب أن تطلع على الناس؟!.

(القدرة) أليست تعني بكل حرارة وجلاء القوة على نصرته الحق؟! . إنها القدرة، إنها الانتصار للحقيقة البيضاء، للواقع الذي جنى في حقه، وللحقوق التي أهدرت حول مذبح الرغبة والرغبة. إنها القدرة، إنها إحلال السلام مكان المعتل، القوي بدلاً من المهوك، والصواب بدلاً من الخطأ.

تلك هي القدرة على تغيير الأخطاء، ولكن القدرة ما أعماها حين لا تنصف نفسها، حين تتجاهل أخطاءها لتفتح عينها على أخطاء الناس، حين تقتصر للحق من سواها وتأبى، تنسى أنها مطالبة بأن تخضع كغيرها لسلطان الحق.

فقوة التغيير يا «كجا» هي العنصر الأول من عناصر التطهير، ودرء الأخطار عن جسم المجتمع، فالأمة؛ ولن تكون له القوة ما لم يكن طوفاناً عادلاً يملأ جوف الأرض الظامئة بالماء، ويكسح عن وجهها الحشائش، وما أوجدته الأيدي العابثة من رواسب وحجارة، وطحالب.

والقدرة يا صديقي «الكجا» هي ألا نتعدى أنفسنا إلى الغير، أن نبدأ بأخطائنا قبل أخطاء الناس، أن نصلح أنفسنا، وأن نمهد لغيرنا سبل الإصلاح والتغيير:

فيد الإصلاح ما أنقاها وأقواها حين لا يقهرها التحيز، ويد الإصلاح ما أعطاها وأشقاها حين لا تبصر إلا من طرف واحد، ويد الإصلاح هي المقياس لعجلة السير، هي (المقياس) الذي يسجل مراحل الاندفاع، وخطا الاتجاه إلى دنيا جديدة من النمو وفضل الإهاب، والمواهب.

إن فينا أيها الحبيب من لا يتذوقون طعم الصراحة إلا في حدود، وإن فينا أيها (المجنون)!! من يبحث عن المشاكل وراء ستار من حب الإصلاح، وإن فينا أيها «الصديق» من يخشى الحق، يخاف حين يقوله أن يفقد رضاعه، أو أن يخسر متاعه، أو أن يسلمه الزمن إلى شكوى ووحدة، فيطرح قول الحق جانبا وهو يعلم العلم كله أنه خان الأمانة، وخادع مسؤولية السماء.

فإذاً القدرة على تغيير الأخطاء ليست يا «كجا» أن نرغى وأن نشور حين نحس بخطأ مقصود أو غير مقصود، والقدرة على تغيير الأخطاء ليس تشهيرنا بذلك المخطيء وهو يشنا من حوله، والقدرة على تغيير الأخطاء ليس أن نقابل الصياح بصياح، وإنما هي إجماع حبيب هادىء نزيه نرجيه في رغبة إلى من

أخطأ، نشره فيه بأنه إنسان غير معصوم، وبأننا جميعاً يجب أن نتحرى مناهج البناء الأصح.

فروح الدعوة هي أن تكون على مقياس موحد في قوتها وهدوئها، في إنصافها للحقائق، وفي تحررها لسبل الخير، وفي معالجتها لوقائع الشر.

والتغيير للأخطاء، أي أخطاء، هو الإثبات الراسخ لجوهر الدعوة، ولحقيقة السمو عن الدنيا، وعن التحامل وعكس المقاييس والأوضاع.

والعيش مع الحق يا «كجا» هو الرضا بذلك الحق، الإيمان به، وإثباته كدستور خالد مشروع، والحق، والإيمان بالحق هو إثبات لما فيه من الحقائق ولو على أنفسنا، هو أن نهزم في شخصياتنا ما لا يقره الحق، هو أن ننتصر للحق على أطماعنا، وعلى أوضارنا، وعلى تحاملنا وتجاهلنا أيضاً.

فالنصرة للحق ذات جناحين اثنين :

— تغيير الأخطاء.

— وإثبات الحقيقة البيضاء.

والحق كما قال رسول الإنسانية صلاة الله وسلامه عليه :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ».

هذا هو الحق، هو التغيير لروح الشر، للأخطاء، والإقرار لروح الخير، للصواب.

( . . . . . )

وبعد ، فما أروع الأمثلة التي ضرها لنا رسول البشرية محمد بن عبد الله صلاة الله وسلامه عليه حين قال :

« والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » !.

ذلك هو الانتصار الكامل للحق، القدرة على التغيير في صالح البشرية وفي خدمتها، أي شيء أروع من أن يقسم الرسول النبي على القصاص من ابنته، من فلذة كبده، أخذ الحق منها قبل غيرها من الناس ؟.

لعلّي أطلت عليك يا «كجا» بهذه الفلسفة، ولعلك — كما عهدتك وكما عودتني — لم تضق بها كما ضاقت بها صدور الواقع، فالحق حلو مرّ يا «كجا» لا يستسيغه كل الناس. ولا كل الذين يدركون، ولكن كل الذين يؤمنون بعدالة الدعوة، بتجردها عن كل حيف وتصنع، عن كل نفاق أو مراوغة، تلك هي العقيدة الكبرى التي يزرعها الإيمان القوي النابض، المتلىء علماء وفهماً وعملاً!.

ادع لنا يا «كجا» أن نكون من أولئك الذين علموا فعدلوا، وقالوا الحق ولو على أنفسهم. وإلى لقاء آخر أيها الحبيب.



# العيد

صديقي «الكجا»!

أنت الآن في عامك الخمسين، أو تكاد، عمر طويل طويل تضع أيامه «بالأعياد!!» الأعياد التي تصافحنا في كل عام مرتين أو مرات، ياله من رصيد ضخّم فخم يحوي مائة عيد بالتّمام والكمال.

ولكن قل لي أيها الصديق: هل وعيت تلك الأعياد؟، هل عشتها؟ عشتها بروحك لا بقشورك ونكاتك؟! وهل تجاوزت فيها مع أمانى العيد؟! هل انتصرت فيها للمعنوية؟ وهل نفعت تلك الأعياد «المائة» وما أكثرها — هل نفعت حياتك فذكرتك يوماً من الأيام بأنك يجب أن تقيم لروحك المهرجان، وللإنسانية الأفراح، وللغرس التّامي طريق الري، وللبسمّة المرحّة سبيلها إلى الشفاه الحائرة؟!!

مائة عيد في عمرك يا «كجا» ماذا صنعت من تلك الأعياد؟! وبماذا قضيتها؟! وهل تزودت منها بالسر، بالالتفاتة الحكيمة إلى زوايا المستضعفين الذين ملأوا من حولي وحولك كل مكان؟.

أي أعياد تلك المائة التي مرّت عليك يا «كجا» مرور اللّثام لا مرور الكرام — فما نمت في وجهك إلا ابتسامة مصطنعة تخدع بها الناس، وما غرست في قلبك إلا فرحة مرتجلة توهم بها من حولك أنك في عيد، وما أضفت على كيائك إلا بُرداً جديداً عتيقاً رحت تختال فيه وكأنما توهمت أنك ستخرق الأرض أو تبلغ الجبال طولاً؟ أكانت هذه هي الأعياد التي انتصرت فيها الفرحة على الوجوم، الابتسامة على الدمعة، والانطلاق على الرسوب؟



ويحي ويحك يا «كجا» حين نخدع أنفسنا بمظهر لا يجدي، حين نرى في العيد تلك الظاهرة الكبيرة، تلك اللحاحات التي ما تكاد تبتسم حتى تلفعها حقيقة التاريخ الأسود، تجذبها فإذا بها في صمت ثقيل، في تقطية جامدة!.

ويحي ويحك يا «كجا» حين نرى في العيد تلك المواكب الزاحفة التي تثقل بأقدامها الأرض وهي تتعانق عناق الأموات، وتراقص رقصات الثمالي. هاتفة ومرددة نغمتها التي لا تتبدل:  
( عيدكم مبارك . عيد سعيد )

آه .. كم ظلمنا العيد يا «كجا»، ظلمناه بخداعنا؛ ثم بتقولنا عليه، ثم بإهمالنا الحقيقة، ثم بمباهاتنا بالتصنع، ثم بخديعتنا لأنفسنا أننا في عيد.  
وما أكثر ما نظلم يا «كجا» وما أندر ما نتراجع عن الأخطاء.  
اصغ إليّ بسمعك، ازجُرني بعقلك حين أخطىء، وسأغفر لك ما تقول، فأنت كأنا (مجنون!! ومجنون).  
أي صديقي «الكجا».

هذه الأعياد!! وكم هي كثيرة في حياتي وحياتك و حياة كل الناس، ماذا فهمنا عنها؟ ألم تضاعف في آلام البؤساء حين لا يجدون الطعام، وحين لا يلتفت إليهم أحد. وحين تبههم مظاهر الموسرين وهي تتحدث عن فرحة عيد، ولبس جديد، و يوم سعيد!؟.

أما كان العيد الذي نحتفي بمقدمه كل عام مرتين أو مرات يزيد في أوضاعهم، نعمتهم على الحياة.؟ وانتكاس آمالهم التي فهمت في العيد مواساة للمعدمين، وانتصاراً على الدمعة، وقهراً للعراء، وتثبيتاً لدعائم السلام والحب؟ وإذا بها تصدم في حقيقتها، فلا تجد في العيد إلا ما تجده في غيره من الأيام، موتاً في المعاني، وجحوداً في الحقوق، ونكراناً للفرحة الكبرى، وخذلاناً لمباهج العيد الروحي الذي نادى به العقل ودعا إليه.

ليتك يا « كجا » كنت معي منذ أيام مضت وكنت في عيد! لقد هرعنا كما هرع الناس، ببسمة مصطنعة فوق شفتي، بفرحة مرتجلة ضاق بها صدري، وبثوب جديد كنت أحتفظ به منذ خمسة أعوام أو تزيد، أدخره للأعياد! ولا شيء غير الأعياد يا « كجا »، وفي الطريق وكنت أزحف كالسحفاة شامخاً بأنفي نحو السماء لا أكاد أبصر أحداً من الناس، اصطدمت قدماي بطفل عارٍ رابض إلى جوار أمه.

طفل « عار » يا « كجا » لا يملك ما يستر به سوءته، لقد دهمته قدماي فصرخ: ما أثقل تلك الصرخة على قلبي، وأخذني جنون المظهر يا « كجا » فرحت أشتمه، وأتعالى عليه وعلى أمه. ( كيف يقف في طريق من لبس الثوب الجديد؟ ).

لقد كانت أم الطفل أعقل مني أيها الحبيب، لقد كانت تملك بسمة صافية كإشراقة الصباح! وعقلاً كبيراً لم تخدعه مظاهر العيد، وأجابتنني:

( ألا تبصر أيها العاقل طريقك؟ إنني هنا في رصيف، إن الطريق عن يمينك واسع لا ضيق فيه )!

ولكن جنوني، ثار في وجهها — جنون من يلبس الثوب الجديد — :  
( إن هذا طريق لا يحق لأحد أن يقيم فيه )

ورمتني بنظرة شاردة هادئة، واغرورقت عيناها ثم قالت:

( وأين تريد أن نقيم أيها العاقل؟! ألا تدلني عليه؟ )

وصرخت: ( في أي مكان تشائين غير الطريق! )

ومسحت دمعة من فوق خديها، ثم قالت: ( إنني لا أملك إلا الطريق

أيها السيد، إن الأحياء لم يدعوا لي مكاناً ألوذ به ).

وزجرني عقلي، لقد تذكرت أنني أجرمت في حق صغيرها، فأبدت لها شيئاً من عذر لا أدري أقبلته أم لم تقبله، إلا أنني أذكر أنني

سألتها: (إن الناس في عيد أيتها الأم، كل الناس في عيد، فأين لصغيرك حلة العيد؟! إنني أراه عارياً!).

لقد أجابتنى بصوتها المنهدج الهادى:  
(إنها عليك؛ لقد أخذتها ولبستها عنه).

وذرفت عيناى الدموع يا «كجا» لقد تذكرت مرارة العيد العابر التي نقضيه ونفسي به إلى هاوية الزمن، دون أن نتعمق في فلسفته، بل ودون أن نترحم فيه على البائسين والمستضعفين متاً!

إخال أعيادك «المائة» يا «كجا» كلها من لون هذا العيد الذي قضيته منذ أيام، فشقيت فيه مع أم طفل وطفل نبذهما المجتمع كغيرهما من المعدمين، ثم أصم عنها أذنيه فلم يسمع، ولم يرحم.

ما أشقى الأعياد التي لا تحمل إلا المظاهر والقشور، إنها أمر من سائر الأيام، ليتنا أنصفناها فقلنا إنها من أيام السنة فقط، ليست بأعياد، أو كانت لنا أعياداً نصافحها بقلوبنا؛ بعقولنا؛ ثم بالتفاتنا إلى كلّ بائس؛ فهل تعديت الحقيقة يا «كجا»؟ هل ظلمتك وظلمت نفسي وظلمت الناس؟ أستغفر الله إن كنت أخطأت.



## الحزازى من الحيانة

لقد لاقيته ، كان بادي الوجوم، معصوب الرأس، شارد النظرات، لاهث الأنفاس، لا تكاد تسمع منه إلا زفرة تحكي لي ولك ما يعانيه من مرارة وحرمان.

لم يكن في الثلاثين من عمره، ولا في العشرين من عمره، لقد كان بين الثلاثين والعشرين، إلا أن ملامح وجهه الشاحب، ونتوء عظامه، ورعشة كفيه، وهزاله الصارخ يحدثك بأنه ابن الخمسين من الأعوام أو يزيد، لقد أكلت عليه المتاعب وشربت حتى لم تعد تترك له متنفساً من أمل ولا مجذوة من رجاء، لقد جمع بين شباب الأعوام، وبين مشيب الروح والجسد؛ فبدأ مزيجاً حائراً من قوى حنت رأسها للزمن، ومن مأساة انتصرت على كيانه فأشبعته الشيخوخة وأسلمته إلى الليل. عرفه الناس باسم «سعيد» هكذا سمّاه أبوه وسمّته أمه، أما هو فقد عرف نفسه بالشقي، بالطريد، لقد انتزع ذلك من حاضره، من أيامه السود، ومن أحزانه التي لا تنقطع.

والويل للإنسان حين لا يبصر مسلكاً من أمل، وما «سعيد» ذلك الشقي الطريد إلا صورة قائمة لأحزان الإنسانية التي لا تفصل بين مراحلها فرحة، ولا تبدو من حلقاتها مسحة من أمل. لقد كان زريبة أو لأقل فرناً تعذب فيه آمال شقية حاولت التعلق بأهداب المستقبل فنطحها الواقع بقرنيه، ثم داسها بأقدامه الغلاظ، حتى انغمست في أعماق اليأس، وحتى التصقت بالتراب..

لم أكن أعرفه لولا أنني سمعت عنه، وقرأت عنه في زاوية صغيرة من زوايا إحدى الصحف.. كنت أفهم أن هناك أكثر من بئس، إلا أنني كنت أجهل أن يصل البؤس بأصحابه إلى حد الكفران بالحياة، التعلق بها، وكنت أجهل أيضاً أن هذا الشبح المفلع الضارب في متاهات عمره هو ذلك الذي قرأت عنه وسمعت عنه، لولا ذلك الصديق الذي دلّني عليه بإحساء هادئة، وكنا نعبّر طريقنا الطويل المملوء دموعاً ذات مساء.

لقد قال بصوت يملأه الحنان والرتاء والكآبة:

إن هذا «سعيد» الذي كتبت عنه صحيفة (...)

وتلاشى كل ما في مخيلتي من أفكار أحلها، إلا فكرة واحدة فقط علقت به، فكرة هذا الذي تصدى له الزمن فأدمى كبريائه، وجرح عواطفه، وأسلمه إلى مرارة الطرد والتشريد! ودنوت منه، لقد كنت أتلقت في فرع وأنا أقبض على كفه، كنت أخاف، وقدمت له نفسي في شبه جنون، جنون البسطاء، وعرفني، ورحت معه وثالثنا نعبّر الطريق حيث أحاطت بنا العزلة والخلوة إلا من البراءة. ومن سرد الحقيقة لحياة إنسان. لقد وجد «سعيد» نفسه للمرة الأولى يعبر كما يعبر الأحياء؛ وكم في تعبير الأحياء يكمن ألف معنى ومعنى للآلام.

ولد «سعيد» كما يولد كل طفل، كانت له بسمّة منحتها له المقادير. كان له أمل، ولكن الزمن — ما أقساه — شح بالبسمّة، وبخل بالأمل فجردهما من شفّيته ومن قلبه، وظل سعيد ومازال الطفل ترعاه دموعه، بدلاً من حنان أمه التي أبعدت عنه لإصابته بذات الرئة؛ أما أبوه فقد جردته أيامه من إحدى كفيه وإحدى قدميه، بات لا يصلح للحياة لأنه فقد عناصر السعي، لم يعد ذلك القادر على أن يكسب، والويل للعاجز يا «كجا» في محيط لا يرحم العجزة؛ وما حيلة هذا الصغير؟! ماذا في مقدوره أن يفعل

وقد قللاه حتى الأطفال، وقد عيره حتى الأطفال، لأن أباه «لص» ولأن أمه «مسلولة» ولأنه جمع في تاريخ أسرته مرضى البدن والروح والفقر.

يا للأقدار! حتى الصبية الصغار لم يجد من بينهم من يفتح له صدره ليدفن فيه رأسه الصغير، وليبكي، وما كان ذنب الصبية، فالصغار لا يحقدون، ولكن الآباء، آباء الصبية هم أولئك الذين أوحوا إلى أطفالهم: (أن اطرّدوا هذا الذليل المنبوذ الشقي، أن اشموه)! والأطفال لا يناقشون ما يوحى إليهم، لأنهم لا يفكرون!

والروح يا صديقي «الكجا» الروح التي تشب على أنغام السباب، وعلى مراحل القذف والطرّد، روح ساخطة حاقدة، يستهوها الليل بصمته، بعزلته، لأن له سواد واقعها، ولأن له رهبة أيامها.

فلا غرابة في أن يشب «سعيد» ينظر إلى الحياة التي بترت ساق أبيه، وقطعت راحة أبيه، ينظر إليها كالظامئ الذي لا يطفىء لهيب عطشه غير الدماء، ومن الحياة المتمردة المعصوبة العينين! ولكنه مسكين أعزل وتائه، طمست حرقة كل رغبة في أن يتشبث بالعيش.. بأن يكون (إنساناً) رغم حرصه على أن يكون (إنساناً) لقد نبذه المجتمع يا «كجا» نبذه حتى من فئات العيش، وحتى من التماسه لقطعة من رغيف يابس، كذلك الذي تقرضه «الفيران» في عدم شهية أو لذة. وكان جرمه يا «كجا» أن أباه لص مبتور الساق والكف.

وكان جرمه يا «كجا» أن كانت أمه مصابة بذات الرئة، بالسل. وشاء حينها أن ينتقم من الحياة، أن ينتقم من نفسه، من حياته الصورية، التي باعدت بينه وبين الحب في أن يتعلق بها، لقد سطا كأبيه وكان أن فقد إحدى كفيه، ولكنه ظل حاقداً على نفسه، على صفحته القائمة التي بعث ليملاها دخاناً وأنفاساً لها لهيب النار، ولها مرارة الفشل، ولها صرخة الخذلان.

كان يبحث له عن مسلك آخر، عن مسلك أقسى من أن يثار لجوعه،  
لكبريائه المحطم، كان يبحث له عن مسلك لكي يعرف الحياة بأنها تافهة،  
تافهة في عينيه منذ أن أسقطت من حسابها دستور القيم، منذ أن جنت في  
عاطفتها، وفي ألاعيب خطاها!.

لقد نشرت إحدى الصحف في عدد من أعدادها وفي ركن متواضع صغير  
هذه العبارة، بعد أن ذكرت اسم الطريد «سعيد»:

( إنه مستعد للخدمة، أي خدمة، و دون مرتب، فقط ما يملأ بطنه  
وبطن أبيه وأمه).

وعلى الرغم من كل هذا ظل بلا عمل، لأن عقولنا الكبيرة!! يا  
«كجا» سامحها الله أنفت في قوة أن تستخدم «ابن لص»، ابن مبتور  
الساق.

ولكنه كما قلت، ولما لم يستجب أحد إلى ندائه سطا فاجتذت قدمه،  
وكان كأبيه لصاً جديداً يبحث عن طعام! عن انتقام.

تلك أيها الحبيب كانت مأساة «سعيد» الشقي بدنياه وبحياته، لقد مدَّ  
إليّ كفه الأيسر يودعني، وحين هممت أن أنبّهه إلى غلطته تذكرت أنه دون  
(يمين) فحنيت رأسي نحو الأرض وفي عيني دمعة حائرة انحسرت فوق خدي،  
لقد كانت دمعة مثقلة بالمعاني، ولكنها ضاعت ككل دموع البائسين!!



# الاشي

صديقي «الكجا»

هل عرفتني؟! .. لا أظن .. قل: إني لم أعرفك .. هكذا أقدر، ومن أنا حتى يعرفه الناس!! .. أأست بذلك التافه الصغير الذي لا ظل له إلا الألم .. إلا الجوع .. وإلا التسؤل بين معارج الطرق الضيقة الصامته صمت القبور؟  
اسمع يا صديقي «الكجا» اسمع من أنا! ثم قل ما شئت أن تقول .  
قل: إني حي .. وقل: إني ميت .. وقل: إني عاقل أو مجنون .. أو كلاهما إن جاز ..

أرأيت إلى حمرة الشفق الباكي الحزين ..؟  
أرأيت إلى حشجة المحتضر الممدد فوق الفراش ..؟  
ثم أرأيت إلى صدى الدموع وهي تنساب في ذلة فوق خدود المسكين؟  
أرأيت إلى الفقر بما يعني؟ .. الفاقة بما تحتوي؟  
ثم أرأيت إلى الحرمان الطويل الذي لا يهزمه الأمل .. وإنما يزيد الأمل في امتداده وفي ظله وفي وجيبه وهيبه؟  
أرأيت إلى تلك الصورة الداكنة الربداء ..؟  
إنها جزء فقط من حقيقتي يا «كجا»

إنها خيوط صفراء وحمراء تفصح عن الدم المراق .. وعن اليأس الراعب .. وعن الصدى الموجه الذي لا ينام!  
ما أكثر الآمال في حياة البشر! ولكن ما أتفه الآمال وهي تراوغك ثم تخدعك .. ثم تلقي بك في عناد أمام صخرة صماء من الفشل، وأمام موج زاحف هادر تتكسر عند سنامه قلوب الضعفاء.



ما أمر تلك الآمال وما أشقاها حين لا تفيك بظلمها وهج التعاسة .. ولا  
ترد عنك بوردها ظمناً الجنون المتفاعل في عقليته الرعناء .

إنها الآمال يا « كجا » الآمال التي هدهدتني منذ الصغر .. منذ  
الصغر .. منذ نعومة الأظفار . فرضعت لبانها طفلاً .. ويافعاً .. وشاباً .. ثم  
إذا بها تتلاشى وتذوب في حمأة العراك البذيء ، لتصفق مع الشيطان على  
هزيمة الوجدان .. وتحاذل العقل .. وتهرب الحقيقة .. وانتصار الليل .

إنها « الآمال !! » وكم عشتها يا « كجا » . وكم عشتها أنت ، وكم  
عاشها المعذبون في الأرض ، فانتزعت من قلوبهم الخفقة . ومن شرايينهم  
الدفء .. ومن مآقيهم وميض الحياة المتألق كأضواء الصباح .

نعم .. يا « كجا » لقد كانت الآمال التي عذبت من قبلي الملايين .  
وستعذب من بعدي الملايين ، وستضحك في وجه كل معدم . تسخر به . لا  
لأنه ليس بإنسان ، ولا لأنه خلق من نار أو نور .. ولكن .. آه .. لأنه معدم ..  
لأن أضرار المادة الرعناء لم تتسرب إليه ، لأنه بريء يعيش بالطهر .  
بالإنسانية . ولأنه لا ذنب له .

هكذا أنا .. يا « كجا » بؤرة حمقاء في نظر الأبراج . لا تصنعني الرحمة ..  
وإنما تلفعني الجريمة . تكبلني القيود .. وإنما تتسارع نحو خطاي أنفاس  
الزبانية .. وإنما أحرث بأنفاسي المحمومة مكاناً ضيقاً لا يتسع لأكثر من  
خطاي ، خطاي فقط أيها الحبيب « المجنون !! » وحين أتنفس على أنفاس  
البارق من السماء وهو يومض كشعلة بيضاء من الأزل .. حين أتنفس لا أجد  
إلا الضباب الرهيب يطوق عيني في كبرياء .. يغلقهما بخيوط عميقة تحجب  
الشعلة .. وتكتم أنفاس النور .. وتعمر مكاني بظل الانزواء ، وبظلمة  
الليل .. وبالخوف .. بالخوف من خفافيش الليل اللاسعة اللاذعة ، وأعناقها  
تتناول كأنفاس الأقدار ، إنها لا تشيع .. إنها تمتص الدماء ، إنها تلتهم  
العظام .. إنها تكتم الأنفاس . وجرى بي الزورق المسجور يا « كجا » ..

كانت مجاديفه تملأ وجهي برشاش الماء حتى لا أدري أكنت أنا المجداف ..  
أم أن الزورق أحس في وجهي بظماً الحياة .. بلهيبها، فشاء أن يطفئ  
الظماً .. أو ذلك اللهب؟ وكان الموج الهادر يصفق من حولي .. وكنت  
أشهد في هزال ملايين الزوارق التائهة المكدودة وهي تتناطح .. وهي تقفز  
لتنحدر كالمجنونة .. وكنت أشهد ملايين الأرواح وهي تتأوه في عذاب ..  
تنتظر مشيئة السماء .

الموج .. الموج الغاضب الهادر الكبير ما أقساه! ألا يرحم ..؟ ألا يسمع  
أنين الملايين ..؟ ثم ألا يستجيب ..؟ وخانني الأمل يا «كجا» هذه المرة ..  
خانني في أن أدرك فلسفة الموج .. فلسفة الضعف ثم فلسفة الملايين الهائمة في  
رحاب البحر المجنون ..

وما وجدت .. ثم ما ألفيت .. إلا الصوت القديم النابع من آلاف  
السنين .. لقد كان يملأ سمعي .. كان يهتف:  
الحياة أنشودة حزينة ..  
أوتارها من حديد ..  
أصداؤها ألم ..

أما معناها .. فعلامه استفهام كبرى !  
وحين قذف بي الموج إلى الساحل .. حين ترفق بي، كنت أجد من  
حولي غلالة سوداء يبهمني ظلها .. كانت تقطع معي الأرض، كانت  
تبكي .. وكانت تتمم .. وكانت تضحك .. ولكنها يا «كجا» كانت  
تقسو .. كانت تنهني حين أبكي .. وكانت تحاسبني حين أتمم .. أما حين  
أضحك فإنها تضحك معي طروبة معربة .. كانت تريدني أن أضحك بكل  
الألوان .. بكل الصور ..

تريد من دموعي ضحكاً .. ومن أنيني ابتسامة، ومن قيودي جناحين ..  
ومن فقري فردوساً .. ومن وحدتي ضجيجاً وأنساً .. كانت تريدني طيفاً لا  
يعرف الألم رغم أن الألم هو الذي غرس فيه القوى ..

وكانت تريدني أن أفرح على قبور البشر .  
وكانت تريدني أن أرقص وبين المجازر الوقحة الصارخة :  
كانت تريدني وعلى الرغم من آلامي .. وعذابي .. أن أغرد فقط لظلال  
الجنة .. لسعادة الدنيا .. للسلام .. وللحب ..  
رحم الله تلك الظلال ، ورحم الله السعادة والسلام والحب الذي كانت  
تعنيه وتشدق به ! ..

هكذا .. أرادتني تلك الغلالة السوداء أن أصنع لبنات الغم في قالب  
جامد متصلب لا نعيم فيه .. ألا أقول .. ألا أصرخ .. ألا أصف  
الحقيقة يا « كجا » .. الحقيقة بالأمها . بشقوتها .. بعربدتها .. وبمهازلها المرة  
التي تطل من كل نظرة .

وأبيت يا « كجا » .. أبيت أن أنسى الدموع .. أن أقبرها في ضباب  
النسيان .. في غبار المراوغة ..  
وأبيت يا « كجا » أن أقيد الأثبات المحرقة وهي تتصاعد من أعماقي  
لاهثة ساخطة ..

أبيت أن أقبر ذلك ..  
فإذا بتلك الغلالة تصرخ في وجهي ، وإذا بموج زاحف من أعماق البحر  
الهادر يصفعني .. وإذا بي أحاول أن أجدف بزورقي من جديد .. أجدف  
فقط ملتمساً النجاة .. أما صوتي فلم يعد يتحدث .. لقد ملأته قطرات الماء  
المرة التي كان يقذف بها المجداف فوق وجهي .

لقد رحت معه في صراع بين القوى والمبدأ .  
وحتى خطاب آخر يا « كجا » أتمنى لك الحياة .  
الثبات في وجه الأمواج الرهيبة .. أيها « المجنون !! » العاقل .

# في المِزَارِ !

صديقي الكجا !!

هل تزوجت ؟!

آه .. لقد نسيت أن أقول لك .. هل ابتعت لك عروساً بعشرة آلاف من الريالات أو تزيد ؟! ..

هل دفعت ذلك الثمن الباهظ لقاء زوجة لا تدري عنها .. عن جمالها وعن خصالها .. أكثر مما تدريه عن سكان ( المريخ ) ؟! ..

لن أنتظر منك الجواب حول هذا السؤال ، فما كنت لأطمع منك بالحقيقة عن مأساة عشتها أنا كما عشتها أنت .. كانت بضعة من حياتي .. وجزءاً من أنفاسي التي أنفثها مع كل لحظة ..

أريد منك فقط أيها الصديق المجنون .. أن تسمع إليّ .. أن تنصت .. ولا بأس عليك أن تسعفني بدمعة إن كان ثمة في مآقيك دموع أبقت عليها آهاتك وعلاّتك !

إنها صور مرة من المأساة أحتفظ بها في أعماقي .. منها ما كان من حياتي الخاصة .. ومنها ما كان من حياة الآخرين .. إنها من الواقع الذي لا يتطرق إليه شك ! ..

ولنبداً من هنا .. لنبدأ من اثني عشر عاماً مضت من الزمان .. أيام كنت في السادسة عشرة من عمري .. لقد كان للظروف - ساعها الله - قسوة الدهر، فلم تحفل في نفسي برغبتها في أن أنهى مرحلة أعوامي الدراسية .. «يا كجا» .. لقد أبت عليّ .. ألحّت .. بل وأقسمت في أيمان مغلفة أن أهجر الدراسة والمدرسة لأخوض معترك الحياة .. في سبيل شراء لقمة العيش

لأسرتي الكبيرة .. واندفعت مع عجلة الأيام القاسية المثاقلة أكدح وأحرق أعصابي .. وأذيب جهدي لكي أوفر فقط وبعد اثني عشر عاماً من الزمان قيمة للمعذيين! ..

اسمع ماذا أقول .. لقد كان رصيد سعبي الطويل ما يدنو من الثمانية عشر ألفاً بما فيها بعض مبيعات الأسرة من أثاث وعقار! ..  
يا للساء .. ما أسعد هذا الخلق وما أشقاه ..

وتلفت صديقك «يا كجا» .. تلفت للمرة الأولى يبحث له عن «عروس» .. واشتراها .. ولم يرع الصفقة .. لقد خسر البضاعة وفقد المال ..  
وربح الدموع! ..

كان ذلك منذ سنوات عدة لها طول الأجيال ..  
وماذا يهمني وقد خسرت أول جولة؟! ولم الإطراق والدموع مادمت شاباً مفقول السواعد ملتهب الراحة ..?  
واندفعت مع عجلة الأيام أركبها حيناً، وتطرحني أحياناً حتى لأكاد أنغمس في الحفر العميقة! ..  
وجاءت رقصة الأحلام مرة أخرى تراود خيالي .. وتهزني .. لِمَ لا تتزوج؟! ..

ووجدت نفسي تقفز من مكانها في شبه جنون .. وهي تهذي ..  
هذا صحيح .. لِمَ لا أتزوج? ..  
وبحثت عن زوجة أخرى .. وتزوجت .. اشتريتها بما أملكه من مال ..  
ودفعت الثمن للمرة الثانية فخسرت البضاعة .. وخسرت الثمن .. وربحت الدموع والإفلاس!

وتنهدت .. تنفست الصعداء .. وحمدت الله من جديد على الراحة .. إذ لم يكن لدي المال الذي سيدفعني إلى سوق (النحاسين) لأشتري منه نكبة ثالثة ورابعة .. وخامسة .. إلى ما شاء الله .. لقد شهرت إفلاسي مقروناً برصيدي الضخم من المآسي ..

وقد تسأل «يا كجا» لِمَ خسرت في كلتا الحالتين الصفقة؟!  
وقد تقول «يا كجا» إنه النصيب الأسود.. ولا شيء غير النصيب  
الأسود».

ولكن اتركني لأنفث في أذنيك صرخة.. لا همسة.. لأنها شكاية  
جريح طريح:  
( إن النصيب الأسود هو أن تنطبق أجفاننا خوفاً من أن يهرها ضوء  
الشمس).

ترى أين هو اختيارك؟!.. أين هي آمالك التي تملأ رأسك؟! بل وأين  
هو حبك وأنت تطأ بخطاك طريقاً غامضاً مجهولاً وعيناك معصوبتان؟!..  
إنك لن ترى الطريق.. ولن ترى الزوجة إلا بعد أن تضحي.. بعد أن  
تعصرك المراسم في قسوة وعناد.. واستبداد..

وما بعد الزوجة.. وبعد لقائها.. يا «كجا»؟!..  
إن قلبها.. وإن بعدها ألف آهة.. ومشكلة.. وخطر!  
هل تصدق أيها المجنون.. أن صديقاً تقدم إلى شراء حواء.. وتمت  
الموافقة على الثمن.. ودفع الثمن.. ولكن.. لقد أعيد إليه الثمن في صفقة  
وشماتة، بحجة أن والدها اشترط على الزوج «السعيد!!» خمسين كسوة من  
نوع كذا.. فلم يف بهذا الشرط.. لقد اشترى فقط ثمانين وأربعين كسوة لا  
خمسين كسوة!..

وآخر يا «كجا» كان له نفس النهاية، لأنه لم يمنح إخوتها السبعة سبع  
عباءات أسوة بأمها وأبيها ومجدها وجدتها.. تلك بعض الصور التي تطل علينا  
بين يوم وآخر.. وقبل أن تتم صفقة الشراء..

أما الصور الأشد مرارة ووقعاً، تلك التي تقوض وكر الزوجية بعد أن  
كان، فما أكثرها.. وأقساها.. وأدعاها إلى الشفقة والأسف!. والرتاء..  
إنه شاب «يا كجا» تزوج. وانتهى بالنسبة لزوجته كل شيء.. دفع

الثن .. وتسلم البضاعة .. وتسلم مع البضاعة أم الزوجة «الحماة» .. وما أدراك ما الحماة؟

لقد أحب الزوجة .. وأحبه .. وعاشت إلى جواره قرابة العام! .. كان مدفوعاً بتعلقه وبحبه لزوجته إلى أن يقبل في الصباح وفي المساء رأس حماته التي شاركتة داره .. ودثاره .. وأنفاسه أيضاً! ..

لقد اتخذ من تلك «العجوز» أمّاً له لم تلده .. لقد كان بارّاً بها إلى أبعد حد الاسترضاء والعطف .. ولكن أتدري بماذا جازته؟! ..

لقد نسي مرة أو مرات تقبيل تلك الهامة البيضاء المملوءة شيباً وحماسة، ورأت فيه العجوز تنكراً لعطفه .. لبرّه .. فأفسدت عليه تلك الزوجة .. أثارت بأقدامها غبار الفرقة .. وكان أن طلقها ..

وشاب آخر «يا كجا» كانت له زوجة .. وكانت له حماة .. وكان يحتفظ في جوانبه بحب كبير .. وبعقل كبير .. كان يغمر زوجته بظلال الرعاية .. وبأكف الحنان .. ولكن «الغيرة» قاتلها الله .. أثارت جنون تلك الأم الصامته .. الغيرة من ابنتها .. من سلطانها القوي على قلب زوجها وعلى ما يملك .. وما أسرع ما تنخدع المرأة .. لقد بذرت تلك الحماة بذور الريبة .. الشك .. في قلب ابنتها وضد زوجها .. والطاعة عمياء لا تبصر .. لقد تقبلت من أمها جميع ما تقول، وكان عليها إذاً أن تحفر لحبها قبراً تواريه فيه .. لقد تقمصت تلك الزوجة الهادئة صورة شيطان .. والعقل ينفر من الشيطان .. لقد تركها لأمها بعيداً عنه! .. عن داره ..

إنها بعض الصور «يا كجا» .. بعضها فقط تحكي لي ولك ولجميع الناس مأساة من الحياة التي ننساق إليها .. تدفعنا لها العاطفة .. التقاليد الميثة .. فهل نستفيق؟

# حوار.. وحمسار !

صديقي الكجا ..

مرة قبل هذه المرة عشت بك مع دجاجة .. ومرة ثانية التقيت بك في حياة نملة .. وهذه المرة حين هممت أن أخرج من حظيرة هذه الحيوانات إذا بحمار هناك يطل عليّ من بين فتحات زنزاته يناديني . يحرك لي أذنيه . وهل أبلغ من أذني الحمار دعاء حينما تتحركان .. لقد شاء يا « كجا » هذا الحمار . شاء الآ أفوته قبل أن يعرفني على نفسي .. من أنا ؟ ومن ذا أكون .. ؟ وماذا يجب عليّ أن أكون .. ؟

حديث حمار .. ولكنه حديث بليغ مليء بالفلسفة .. مشبع بالحكمة .. آه لو أننا عرفنا أنفسنا .. سبرنا واقعنا .. ووقفنا على حقائقنا كما يقف عليها حمار . اسمع يا أخي للحوار .. للحمار وهو يتحدث .. ثم احكم .. قل بعد ذلك رأيك ..

ألفيته في زريبة واسعة لا تضم غيره .. زريبة لها سور طويل شاهق .. لها باب موصل ثقيل .. ومن بين فتحات ذلك الباب الموصل الثقيل كان يخاطبني .. ويدعوني .. قلت له .. وماذا لديك يا حمار .. فابتسم .. ابتسم في خبث وأجاب .

— إن عندي سرداً لحياة حمار ..

وقلت له :

وأي حمار تعنيه في قولك ؟ هل تعني نفسك . أباك .. أخاك .. أم ماذا ؟

ولكنه ابتسم في خبث مرة ثانية وقال :

— أعني حماراً مركباً .. حماراً يجهل أنه حمار ..



وحدجته بعيني كمن شاء أن ينفذ إلى أغوار أسرارهِ .. وأجبتهُ :  
— وهل في عالمكم من يجهل أنه حمار؟. للمرة الأولى أسمع عن حمار  
مركب ..

ونق — هيهان — بصوت مزعج خلته منه قهقهة هستيرية صفراء ..  
وأجاب :

— لا ، إنه من غير عالمنا .. إنه من عالم آخريّ دعي العقل وهو لا يملك  
ذرة من عقل .. وتنبهت يا أخي إلى ما يعنيه الحمار .. تنبهت إلى أنني كنت  
المقصود في حديثه .. كنت الحمار في نظره ، وبدا لي أن عليّ أن أف على  
الشواهد .. شواهد الإدانة بصفتي حماراً .. وقلت له :

— لقد فهمت يا — هيهان — أنك تعنيني .. فهل لي أن أعرف أعراض  
التحول .. وبوادر الانتقال من جنس إلى جنس ؟  
وأجابني وكان يحرك أذنيه الطويلتين :

اسمع يا عاقل ! انظر إلى يدي ورجلي .. انظر إلى هذا السور الشاهق ..  
ثم انظر إلى هذا الباب المقفل الثقيل .. إلى هذه الزنزانة التي أقضي فيها أسعد  
مراحل حياتي .. هل تعتقد أن إنساناً يصنع بي ذلك .. وله ذرة من عقل ؟  
ولم أنتبه إلى ما يعنيه الحمار .. لم أفهم قصده وما يعنيه من كل هذا ..  
وقلت له :

— أفصح .. قل كل شيء بدا لك .. قل بصراحة .. فما عليك أن تخاف  
يا حمار ..

وأجابني :

— ليتك تقول الصراحة كما يقوها الحمار .. كل حمار !  
وهاكها .. إنكم بني البشر لا ترضون لحمار مثلي أنهكه التعب والإعياء  
أن يسرح .. أن يجوب أرضه في طمأنينة وحرية .. لقد كبلتموني بالقيود ..  
رغم هذا السور الشاهق الذي لا أجتازه .. رغم هذا الباب الموصد الثقيل

الذي لا أنفذ منه .. لقد حسدتموني حتى على خطوات أشعر فيها بأنني حر:  
أما أنتم يا بني البشر. فتمرحون .. وتسرحون .. وتطلقون لشهواتكم العنان ..  
لخطاكم الآثمة سبيلها إلى العصيان دون أن تقيّدوها بفضيلة .. بخوف من  
عقاب السماء .. هذا أنتم . وذا أنا .. فأيتنا الحمار ..؟ قل لي بربك ؟!

ولم أجد طريقاً مفحماً للرد عليه .. لقد شعرت يا « كجا » بأن الحمار  
على حق .. وأن الإنسان على خطأ .. شعرت بأن ما قاله هو عين الواقع .. هو  
الواقع نفسه .. الواقع الذي لا نحسد عليه .. ونحسد عليه حمار ..

ولم يدعني — هيهان — في صمتي .. لقد نهق في صلف .. وحين بصقت  
عن يميني وأنا أتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم .. حرك أذنيه .. وضحك  
ضحكة صفراء .. وانفجرت شفتاه عن هذه العبارة:

— وحتى أنا حين أنهق .. حين أصرخ كما تصرخون .. حين أحق كما  
تحققون يبصق أحدكم على شماله .. يتعوّذ .. وكأنما كنت شيطاناً .. أما أنتم  
يا بني البشر .. حين تتفوهون بالبذاءة، حين تتراشقون بالسباب والتهم ..  
حين يأكل بعضكم لحم بعض وأعراض بعض فإنكم لا تبصقون .. لا .. ولا  
تتعوذون .. هذا أنتم يا بني البشر .. يا من تملكون العقول .. يا من عطلتموها  
وأنتم تشعرون بأنكم عطلتموها دون ساعة ندم .. ولا دمة أوبة وتوبة !!

ومرة أخرى أيها المجنون لم تسعفني خاطرة بالرد .. لم أجد الجواب .. لقد  
كانت بؤادر الهزيمة تلوح لي في الأفق البعيد .. تدعوني لأن أظل مع صمتي  
الموحش الذليل القاتل ..

وخفت يا « كجا » على نفسي .. رثيت لواقعها الحزين .. منطقها الذي  
تعثر وتحطم أمام صخرة الحوار مع حمار .. خفت عليها ألا تكون كالحمار  
صراحة .. وفصاحة .. وعدلاً .. وهممت أن أثب .. أن أدع الحمار في  
زريته .. في أصفاده .. وراء بابه الموصد الثقيل، وبين جدران سجنه

الطويلة الشاهقة . إلا أنه تيقظ .. أدرك مني كل شيء .. أدرك الهزيمة ..  
وأدرك رغبتني في أن أعود ورائي أجرّ أذيال الهزيمة ، وناداني :

— أنا لن أقول لك يا حمار .. لن أبصق على خطاك وهي تمرح وتسرح  
فوق مسرح حياتك .. ولن أرضى أن تكبل يداك بالقيود على مذبح الحرية ..  
لن أرضى لك شيئاً من ذلك .. وإنما فقط أتمنى لك أن تنصف نفسك ..  
ألا تعطل عقلاً وهبه الله لك دون سواك من المخلوقات .. ألا تكون حماراً ..

وتواريت من زريته في عجل ، وعلى خجل وأنا ألوح له بيدي مشفوعة  
بعبارة متعثرة مختلطة لا حياة فيها :

مع السلامة يا هيهان .. مع السلامة يا هيهان ..  
وبعد : أيها الحبيب المجنون .. هذه قصة حمار .. وحمار .. حمار بالأصل  
وحمار بالطبع .. حمار أوجده الله ليكون حماراً .. وحمار .. أوجده الله ليكون  
إنساناً فكان حماراً ..

قصة حمارين .. أو قصة نموذجين من مخلوقات .. اختلفت شكلاً .. إلا  
أنها تعانقت طباعاً .. تساوى ثانيهما في تعطيله العقل مع زميله الآخر .. زميله  
الحمار .. إن لم يكن دونه تقديراً لحياته .. فهل ترضى يا أخي أن نعطل  
العقل .. أن يفضلنا الحمار صراحة .. وفصاحة .. وعدلاً ..

أريد أن أسمع رأيك .. رأي عقلك حين يصحو .. حين لا يعطل .. حين  
تكون إنساناً لا يعجزه الرد أمام حمار عاقل كذلك الحمار الذي أفحم أمامه  
صاحب هذه المقالة وكان يعرفه على نفسه .



# روح ومارة في الميزان

صديقي الكجا :

أيها تختار لو خيرت .؟ العقل .. أم الحظ ؟ الروح أم المادة ؟  
العقل الذي تخدم به أمتك .. إنسانيتك ومستقبلك .. أم الحظ الذي  
يخدمك بالعباءة ، وتخدمه أنت بالجمع وبالتكديس .

أيها تختار لو خيرت ..؟ فكراً ثاقباً تنفذ منه إلى أغوار الحقيقة لتطل منها  
على كل شيء ، وتستوحي منها ما تملأ منه خيالك وبالك حكماً .. وعبراً ..  
وفلسفة ؟

أم أنك ستختار المال لتجعل منه حياتك غاية لا وسيلة .. غاية لأن يكون  
لك في عالم الإثراء والجمع نصيب .. وأي نصيب .؟ إنني أخاف عليك يا  
« كجا » أن تختار بدافع من عاطفتك .. من أطماعك .. ثم لا تنجو .

أخاف عليك أن يجتذبك الحظ .. فيباعد الحظ بينك وبين عقلك ، ثم لا  
تكون شيئاً يذكر .. أخاف عليك أن تشدك المادة إليها فلا تفرق بين سعادة  
الجسد وبين سعادة الروح .. بين الهدوء المثير .. وبين الثورة الهادئة الحبيبة !  
أخاف عليك يا « كجا » أن يخدعك بريق المال فتخاله بريق  
الشمس .. أنفاس الصباح الجميل .. وإذا بك تتعمه كالأعمى لا يفرق بين  
شرق وغرب .. ولا بين جنوب وشمال .. أخاف عليك أن تستسلم للهدوء  
الذي يجتذب إلى الإغفاءة .. إلى السبات .. ثم لا توقظك أحاسيسك وقد  
نامت معك .. ثم لا تنبهك أنفاسك وقد استسلمت مثلك للهدوء .. هدوء  
الأموات الذين يتحركون ولكنهم لا يعون !..

أخاف عليك يا «كجا» أن تحب المال الميت فتعمى .. وأخاف عليك أن تكره المال الصالح فتعمى .. وأخاف عليك أن تجمع بين الاثنين فتضل ..

فقال لا يستحوذ عليه عقل هو حجارة صماء لا تغني فتيلاً ولا نقيراً . وعقل لا تسنده مادة هو خطوط عريضة موجهة . ولكنها خطوط مرسومة في الوجه ، تنقصها المواد التي تقيم لها الجذور .. وتجلي لها الحواشي وتميز لها الوحدة والاتجاه . وتقيمها عالماً متحركاً ينفث أنفاسه من أفواه المداخن الجبارة .! وإذاً فن حقل أن تشعر بدناءة المال دون عقل .. بخطورته ما لم يحسن تصريفه والتصرف به ، واستخدامه كأداة للتمكن .. وبناء الأسس والقواعد .

أما العقل يا «كجا» فهو خير كله .. العقل ثروة سماوية لا تنضب وقد جردك نصيبك من المال .. والعقل قوة فعالة لا يهزمها أن تكون وحيداً .. أن تكون طريداً .. وأن تكون على قلة .. أو على إكثار .. أو بين بين ..! وإذاً يا «كجا» ما أسعد العقلاء .. ما أسعد أولئك الذين يحوون رصيذاً كبيراً من إدراك ، ومن مشاعر .. وإيمان .. ما أسعدهم ولن أقول مع الغنى فقط .. بل ومع الحاجة أيضاً .. ولن يضيرهم أن يكونوا فقراء الأغنياء بمقدار ما يضيرهم لو أنهم كانوا أغنياء الفقراء .

إنني لا أذم المال أو أتجنتى عليه ، ولا أرى في الثروة سبة ولا عيباً ، بل أراها نعمة ، ونعمة كبرى .. ولكنها نقمة دون عقل .. ومتى ضم إنسان مالاً وعقلاً ؛ فقد اكتملت في زواياه مزايا ، مزايا الرجل العظيم .. وعناصر الشخصية المكتملة .. عنصر الفكرة وعنصر البناء .. عنصرا الإيجاد ..! وإذاً يا «كجا» هل أعجبك مال بلا عقل ..؟ وهل تختار ..؟ هل أعجبك عقل دون مال ..؟ وهل تختار ..؟

أما المال والعقل معاً ، فما أشك في أنك ستفكر في ذلك !. ولكن!

وبعد .. هل تريد أن تستشعر الفوارق الكبيرة بين راحة الجسد وبين راحة الضمير؟

هـب أنك في قصر منيف .. في جنة صغيرة يحيطها خدم وحشم وبلهنية من عيش ورفاهية ..؟ هـب أنك كنت في أحضان النعيم وفي أحضان الغفلة عن تأنيب الضمير أيضاً .. كنت تسرق .. أو كنت تخاتل وتماطل .. وهـب أن ضميرك ساعة تنبه من غفوته فناداك وأنبك .. أترى جنتك الصغيرة . خدمك وحشمك؟ . وقصرك المنيف ..؟ أترى ذلك كله سيسد عن خيالك ، وسيرد عن بالك وخز الآلام .. ومرارة الدمعة .. ورعشة الخوف .. ووجيب العاصفة .. لا .. يا « كجا » إن كل مالك لن يساوي في نظر ضميرك .. في مقياس عقلك ذرة من فضيلة تفتقدها . ولا جرة لفلاحة تحطمها دون حق .. إن كل مالك لن يزن في نفسك — متى عقلت — فكرة صالحة .. عظة صادقة .. لفرد طغت عليه أوهامه فأفقدته الصواب . وضل الطريق ، وإذا فـعـقل لك بلا مال يساوي ملء الأرض ذهباً دون عقل ..

وعلى ضوء من هذا ، فإن عليك أن تختار .. وأن تميز حين تختار ..  
لقد قلت — المال — وكنت أعني المادة المجردة من كل إحسان ومنفعة ..  
وقلت — العقل — وكنت أعني به قيم الإنسان .. أفكاره الصالحة البناءة ..  
وما أحسن المال متى ما واكبته القيم الصالحة البناءة الهادفة .. يا « كجا » .



# الخير في الواقع !

الخير في الواقع كلمة نقولها نحن يا « كجا » .. أنا وأنت وهو... نردها حين يرسب أحدنا في الامتحان مثلاً.. وحين لا يوفق في مشروع مثلاً.. وحين يفشل له مسعى ويرتد له قصد.

الخير في الواقع .. ولا غير هذه الكلمة التي نخدع بها أنفسنا .. الكلمة التي نحاول أن نغطي بها عجزنا ... وكسلنا وتواكلنا ... حين لا يحالفنا توفيق .. وحين لا يوافقنا نجاح ... بل وحين نمسك بتلابيب الصمت القاتل .. والجن المريع .. والانتظار الفاشل . حين لا نقوى أن نسخر الحياة لإرادتنا الحية فنقرب البعيد .. ونطوي المسافة .. ونقضي على خرافة المحال التي توهن من عزائم العاملين .. وتبدد من إرادات الإنسان حين لا يجد الحدود إلى بناء الصرح الواقعي المنشود ..

الخير في الواقع .. كلمة نقولها يا « كجا » ونحاول معها أن نجعل من كسل الطالب الذي لم يقدر له النجاح في امتحانه فضيلة . ولم لا .. والخير في الواقع .. الخير في كسله .. في نسيانه ثم في رسوبه . ثم لا شيء ..

الخير في الواقع .. كلمة نقولها ونحاول معها أن نجعل من وهن عزائمنا .. وموت معنوياتنا ، وقبر مقدراتنا فضيلة ، وأية فضيلة ما دام الخير كل الخير في الواقع ، سواء أكان ذلك الواقع مما يضحك .. أم مما يبكي .. أم مما يجمع في مأساته بين الضحكة الساخرة .. وبين الدمعة المريرة السافرة .

ثم .. وننسى يا «كجا» مع هذا المثل أن الخير لا يقبده واقع  
نفترضه افتراضاً .. ولا تمليه أمثلة نصطفها لنجد فيها شيئاً من تبرير ..  
ولنجد فيها شيئاً من ذر الرماد على العيون .. ولنجد فيها شيئاً لا يقره  
منطق .. ولا تدعو إليه حكمة أو بيان .. الخير لا يعني الواقع كل  
الواقع .. فمن الواقع خير .. ومن الواقع شر .. وإذا فإن حكمنا على عجزنا  
وعلى تقصيرنا .. وعلى النصيب الميت الذي نمناه ولا نجد غيره .. إن  
حكمنا على ذلك بالخير تغرير وهزء وسخرية بالأسلوب الذي يعتز به  
العقل .. وينادي به ضمير الأحياء .. وتدعو إليه المفاهيم الحية ..

فواقعنا من حيث هو كان لزاماً علينا أن نحكم عليه .. أن نعطي له  
التقديرات الأمنية التي تصفه فلا تبخسه الحق .. ولا تضن عليه بتعريف  
يسلط عليه الأضواء .. ويكشف عن جنباته ، ويعطي له الحكم وفصل  
الخطاب .

لا نريد يا «كجا» أن نخدع أنفسنا .. أن نصنع من الأمثلة ما لا يتفق  
ومنتطق الحياة .. إرضاء لنفوسنا المريضة ، وسلوى لعزائنا الميتة ، وحتى لا  
يكون في ذلك الإحراج وإثارة كوامن النفس الصامته .. البليدة .

**الخير في الواقع ..** مثل يجب ألا نقره في كل حالة من حالاتنا ..  
يجب ألا نقره لواقع أولئك الطلبة المتهاونين الذين أغفلوا مسؤولياتهم  
المدرسية فخانتهم مقدراتهم الضعيفة عند حلقة السباق .. عند مسابقة  
الامتحان .. ثم لم يجدوا ما يعللون به أنفسهم إلا — الخير في الواقع — يجب  
ألا نقره لطائفة لا تعمل ، لا تحاول أن تعمل وهي تملك العمل .. دائماً تعيش  
على الاتكال وعلى ذكريات الماضي .. وعلى التجمعات الفارغة .. والأقوال  
الجافة ، قتلاً للوقت .. وإهداراً لكرامة العمر .. وحين يطلب إلى تلك الطائفة  
أن تعمل .. أن تدفع الضريبة ، أن تشارك في بناء صرح المجتمع ، لا تجد إلا



عذرها في أن الحياة قصيرة عابرة، وخير ساعاتها ما استكنت فيه إلى الراحة والهدوء والنوم.. والخير في الواقع طبعاً. وحتى لو كان ذلك الواقع نوماً أو غفلة.. وزمرة ثالثة يا «كجا» تعمل.. ولكنها لا توفق.. يخونها حظها أن ترقى درجات السلم الموصل إلى مستوى الأمانى.. تتحطم مساعيها عند عتبات النصيب.. فلا تجرؤ أن تعاود الكفاح مرة ثانية وثالثة.. أن تعيد الكرة نحو تسلق السلم.. بل ترى في فشلها ما يوهن في نفسها السعي.. ويبدد في عريكتها القوى وتكتفي من كل مجهودها المبعثر المحطم بمثل يسليها ويخفف من غلواء نفسها.. ويخفف من واصل دموعها.. مثل يقول — الخير في الواقع — وحتى لو كان ذلك الواقع هزيمة في النفس وإفلاساً في السعي.. وإجذاباً في الحصيلة.. بل وإبقاء لهزات الندم.. ودموع الذلة.. ورجفة الصغار والأئين الذي لا ينقطع ولا ينتهي..

يا «كجا» الخير في الواقع.. ولكن متى..؟  
متى كان ذلك الواقع مشرفاً كريماً لا يرقى إليه هوان.. ولا ينتسب إليه انحذار.. متى كان واقعاً يملأه الكفاح ولا أقول النجاح.: فالكفاح شرعة الحياة.. شرعتها الدائبة التي لا يأس معها.. أما النجاح فهو حصيلة قد يوفق إليها المكافح وقد لا يوفق.. ولكن المكافح حين لا تهن قواه.. حين لا يستسلم للقنوط وقد صدمه النصيب، لا بد أن يرقى وقد عاود السعي.. لا بد أن ينجح.. ينجح.. وإلا فإن له العذر.

وإذاً فمن حقنا يا «كجا» أن نرضى بخير الواقع لا أن نتقبل الواقع كله بخذافيره خيراً.. وأن تكون نتائجنا.. وحصيلة جهودنا نابعة من فهمنا على أن الخير في العمل.. لا في واقع الكسل والصمت.. وفي نتائجها المرة.. ومن هنا يجب أن نعلم ونعمل وأن نحكم على الواقع من حيث هو خير.. أو من حيث هو شر.. ألا نخدع أنفسنا.

# أعمالنا .. أعمالنا

صديقي «الكجا» :

— الذين يقدرّون أعمار الرجال بالسنوات والأيام واهمون .. نعم واهمون كل الوهم ، فما كان عمري وعمرك بتلك الأعوام ولا بتلك الأيام التي تقضيها وتقطعها بين مهديك ولحدك ، وإذاً لتساوى الحيوان الأعجم .. مع الإنسان .. تساوى معه في عمره .. وساواه في قيمته لذلك العمر ، ثم لا فرق بين إنسان وبين حيوان .. مادام العمر في نظرنا آماداً تتصرم من عقد الزمن ، فتتشر صفحة لإنسان ثم تطوي صفحة لإنسان آخر ... ثم لا شيء غير النفس الطويل ، أو الغطيط الذي ملأ الفضاء ذات مرة .. ثم تلاشى .. واختفى .

أعمارنا يا «كجا» ليست بأعوامنا في الحياة .. فالطفولة لا تنتج ، وإذاً ليست بعمر في مفهومها الحي .. والكهولة إذاً حين تجذب عن الإنتاج ليست بعمر .. بقيت لنا إذاً تلك الساعات التي تفيض عملاً .. وحركة .. ونشاطاً .. بل بقي لنا من تلك الساعات فقط ما يتّصف بطابع العمل والحركة والنشاط ... والحياة .

فأعمارنا أيها الحبيب المجنون هي أعمالنا .. أعمالنا المجيدة .. ما نصنعه في سبيل الحياة من صالح .. وما نسيده من أجل الإنسانية من مجهود .. وما نقدمه لأمتنا ولتاريخنا من خدمات .. وإذاً فالذين يقدرّون أعمارهم بأعوامهم خاطئون .. فما كان ابن خمسين عاماً بابن خمسين عاماً إذا كان عام واحد فقط .. أو أكثر من عام أو أقل مضى عليه من تلك المرحلة الطويلة .. مضى سدى دون أن يكون له في عالم العمل والإنتاج نصيب .. وأي نصيب .

ولا كان ابن الثلاثين عاماً بابن الثلاثين عاماً دون أن يعمر كل هذه الأعوام بما يثبت أنه إنسان جدير بالحياة.. جدير بالبقاء، وجدير بالألّا تفوته ساعة ولا دقيقة أو ثانية من عمره..

فحياتنا يا «كجا» هي حياة ضمائرنا.. وأعمارنا هي أعمار نشاطنا وجدنا... وغير هذا العمر وغير هذه الحياة لن يكون حياة ولا عمراً..

حكاية.. قد تكون أسطورة.. وقد لا تكون أسطورة.. أعجبتني.. حكاية تقول: إنه في بلد ما من هذا الكون توجد مدينة ومقبرة وموتى.. وأحياء..

وما عليك أن تعرف المدينة.. أما المقبرة فإنها تستقبل الموتى والأحياء، ولكنها لا تنساهم كما يقدرهم الآخرون.

ميت في عامه الخامس والستين توضع على قبره لوحة تثبت أنه فقط ابن خمسة أعوام..

ميت في عامه العشرين يوضع على قبره لوحة تثبت أن عمره فقط خمسة أيام.. وثمانى ساعات..

وميت أو ميتة في عمره أو عمرها الأربعين، يوضع على قبره أو على قبرها لوحة تثبت أن عمره أو عمرها ثمانية عشر عاماً.. أو أقل أو أكثر..

وحين لا يعجبك هذا القول من عميد هذه المقبرة: حين لا تصدقه،  
وحين تستغرب، يعرج بك إلى مكتبه.. لتقرأ صفحة أو صفحات عن كل ميت واره التراب.. وليقول لك: لقد ولد هذا الميت عام كذا.. ولم يعمل ولم ينتج حتى عام كذا.. ومن تاريخ إنتاجه وعمله بدأ تسجيل حياته التي يستحقها.. ثم يمضي بك في سرد حياة ذلك الإنسان ليروي لك كيف توقف إنتاجه لمرحلة من عمره.. ثم كيف عاد وعاد مع عودته تسجيل القلم للحلقات حياة ذلك الإنسان... لضبط ماله وما عليه دون تحامل أو غش.

وهكذا يا « كجا » .. وهذا ترصد نتائج الخير كأعمار للرجل، وتنسى ساعات الغفلة .. والفراغ .. أو النوم .. كساعات ميتة بليدة لا حق لها في الحفظ. ولا حق لأصحابها في الحياة. ولا نصيب لها في لائحة الأعمار.. أعمار الرجال الخالدين.

وإذاً يا « كجا »: هل حاسبت نفسك ..؟ وهل تساءلت معها عن عمرك ..؟ عمرك الذي سيسجله لك ولها عميد المقبرة .. أو عميد الضمير والحق .. والإنسانية.

هل بحثت مع نفسك ولو مرة فطالبتها ألا يكون هناك فراغ في أوقاتك إلا ملأته بالعمل الصالح .. وألا يكون هناك فتور في قواك إلا سلطت عليه طوفاناً من شبابك، من طاقاتك المنتجة ومن خطاك الواسعة الدائبة ... إن عمري وعمرك وعمر جميع الناس لا تمثله الأيام ولا الأعوام التي نحياها ونقضها بين سبات وتثاؤب .. وتباطؤ .. أبداً .. فأعمارنا تمثلها الحياة. حياتي وحياتك .. وحياة الآخرين .. إنتاجي .. وإنتاجك .. وإنتاج الآخرين. و دون الإنتاج لن تكون هناك حياة. و دون الحياة لن تكون هناك أعمار..

وعليّ وعليك أن نفكر .. أن نحيا .. وأن نختار العمل لتكون حصيلتنا من أعمار الرجال كبيرة .. كثيرة، تملأ صفحات سجل العمدة ... لا عمدة المقبرة، فليس لمقابرنا عمد .. ولكن لضمائرنا الحية .. لعمدة ضمائرنا الحية الذي سيحاسبنا. ولن يعذرنا بحال من الأحوال حين لا نحيا .. حين لا تكون لنا أعمار الأحياء وحياة الخالدين ..

## نثر في كلمات

لا عليك من بأس يا « كجا » أن تكون معوزاً محتاجاً أوصد الفقر في وجهك كل الأبواب .. ولا عليك ألا تكون كبيراً تحيش من أجله أقلام الناس، وتجهش في سبيله أقدامهم .

ولكن إياك .. وإياك أن تكون صغيراً .. أن تكون حقيراً لا حساب للكرامة والعزة في نفسك .

لا عليك يا « كجا » ألا يكون لك عمل لأنك لا تجد عملاً هنت دونه أو تخاذلت .

ولا عليك أن تتخلى عن عمل ، أو أن تحرم من عمل قست عليك فيه ظروفك بالخديعة فوقفت في وجه الخديعة .. وأبيتها على نفسك .

ولكن إياك وإياك أن تمتطي جواد القدر لتقطع به مراحل الرتبة .. والراتب .. والشهرة الفارغة .

لا عليك يا « كجا » أن يقول عنك البعض : إنك ثرثار مجنون لا حدود لهذيانك ، وانت تقول وتحدث من أجل حق .

ولا عليك أن يقول عنك البعض الآخر : إنك شقي بكدحك ، بكذك ليلاً نهاراً في سبيل لقمة العيش .. وشراء بسملة لصغار الأبرياء .

ولكن إياك وإياك أن تنعم براحة هيأتها لك ظروفك السوداء .. جباياتك الملتوية .. وألفاظك المعسولة المحاتلة .

لا عليك يا « كجا » أن يصرعك الصراع ، لأنك نازلت الكثرة ولم تهادنها أمام مطلب من حقوق ومستلزمات حياتك .

ولا عليك ألا تقوم من مصرعك لأن الدنيا أسلمتك للوحدة..  
للعزلة.. للنسيان والجنود.

ولكن إياك وإياك أن تحاول الوقوف والصعود بأقدام مستعارة لا تقوى  
على حملك وإسنادك طويلاً لتخرولتهوى بك إلى الحفر السحيقة المظلمة.  
لا عليك يا «كجا» أن تقرأ كل ما يخطه الكتاب و يلقون به من أفكار  
وعبارات. ولا عليك أن تبدي رأيك.. رأيك القوي الجريء تجاه أيما فكرة  
مغايرة لرأيك حتى لو كان مصدرها عملاقاً جباراً من عمالقة الرأي والفكر.  
ولكن إياك. وإياك أن تؤمن بكل ما تقرأ. أن تصدق ما يقوله كل  
كاتب دون أن تجعل لك أيما رأي فيما يكتبون.

لا عليك يا «كجا» أن تعترف بالحقيقة. أن تؤمن بها، لأنها حقيقة،  
مرة لا يستساغ لها طعم ولا لون.

ولا عليك أن تجهر بالحقيقة. أن تصدع بها أمام من تبهتهم الحقيقة  
فيلوون عنها رؤوسهم وكلها سخرية بك. وتقرز منها.

ولكن إياك. وإياك أن تقبر الحقيقة في نفسك لتكوى منها أعماقك،  
ولتختنق بأنفاسها رغم أنها ملك مشاع لغيرك. ملك لكل الناس؛

لا عليك يا «كجا» أن تعمل أجير بناء؛ أو حدادة؛ أو نجارة في سبيل  
النصرة لعيشك، لحاجتك؛ ولجتمعتك.

ولا عليك أن تشتري لقمة العيش بعرق جهدك، بشرف جهودك،  
باقتحامك معركة العمل والبناء.

ولكن إياك؛ وإياك أن تملك القوى فتعطلها؛ الإمكانيات فتهميتها  
وتهينها؛ أن يكون لك شباب فتنحره بالتسول، برعشة الكف الممدودة  
المهزوزة وهي تستجدي وتسأل المحسنين!

لا عليك يا «كجا» أن تقنع بالرغيف وغيرك يملك «حقاً، ما هو  
أحسن من الرغيف وأشهى؛ ولا عليك أن تركب حملاً هو ملك لك؛ وتدع  
لغيرك ما يركبون وإن فاقوك مركبة وموكباً.

ولكن إياك : وإياك أن تنسى اخوة لك أدمت الصخور أقدامهم وهم يزحفون في العراء القاسي ولا يجدون ما يركبون.

لا عليك يا « كجا » أن تكون صورة حية ناطقة ومعبرة لما أوجده الله جل شأنه وأراد.

ولا عليك أن تكون قاسياً حين تحب القسوة، رحيماً حين يدعوك العفو. ولكن إياك وإياك أن تعطل مفاهيم حياتك. فتعكس في تصرفاتك الحقيقة، وتقلب في ذاتك الأوضاع، فتتضارب الرحمة مع الشدة. ويتقارع الأمل مع اليأس. وتمتزج روح الخير بريح الشر. فتبدو كالظل الباهت الهائم؛ لا يحمي صاحبه لفحات الهجير. ولا يقيه وهج الشمس المحرق.

لا عليك يا « كجا » أن تكون وحيداً بهيكلك. لا يؤانسك بشر. رغم أن روحك تتموج في عباب البشرية وزحامها.

ولا عليك أن تكون طريداً في فنائك، وفي فضائك، لا يؤانسك أو يشفق عليك إنسان، لأنك تقضي مرحلة من عمرك لا بد لك منها.

ولكن إياك. وإياك أن يكون نصيب إخوتك منك فقط هو ذلك الهيكل المتحرك. المتحرك المتراقص. أما روحك. وأما مشاعرك فهي تعيش بعيداً.. بعيداً عن معترك إخوتك في الإنسانية. نعم يا « كجا » إياك. وإياك.



# لَبْسٌ عَبْدِيًّا أَنْ تَكُونَ فَقِيرًا

صديقي «الكجا»

هل سألت ضميرك .. ضميرك النابه المتيقظ؟ هل سألته وقد أبى جنون بعضنا .. أثبت صفاقة ذلك البعض أن يردّ التحية بمثلها أو بأحسن منها وقد لاقاه فقير معدم بدأه بالسلام .. بادره بالتحية .. ثم لم يرد عليه ..؟

هل سألت ضميرك حين يشفعك ويسعفك الضمير عن ذنب ذلك المعدم الذي اختار له نصيبه أن يكون صفر اليدين . خالي الوفاض؟ هل سألت ذلك الضمير أكان ذلك الصنيع المّرمني ومنك في إباحة من التردد .. من الاحتقار .. من الصغار الذي نلحقه به .. من التقطية الجامدة الجاحدة في وجه الفقير الذي كان ذنبه أنه كان فقيراً .. مجرد فقير .. لم يسرق .. لم يحتكر .. ولم يضمها في خزانته مادة رغاء جمعها الكسب الحلال .. وجمعها الكسب غير الحلال أيضاً؟

هل سألت ضميرك مرة من المرات؟ هل استوحيت منه؟ وهل تعرفت منه على صوته المملوء إنصافاً وعدلاً؟ ماذا سيقول لك ولي وقد هزنا الاستكبار فركلنا بأقدامنا روح الإنسانية الرحيمة .. وحططنا بشموخنا .. باستعلائنا .. بخيلائنا كل مفاهيم التواضع .. والبر .. والفضيلة؟

هل سألت الضمير عن الفقر؟ وأي شيء هو الفقر في نظر القيم الصاعدة لمكانة الإنسان؟

الفقر لم يكن سبة .. لم يكن عيباً ولا عاراً .. وروح الانتكاسة والإجرام فقط هي التي تلوح لنا بصغار الفقراء .. ودناءة الفقراء .. وبالاحتقار



للفقراء .. فروح الفقير .. روحه الصافية .. ومشاعر الفقير .. مشاعره الدافئة .. وإنسانية الفقير .. إنسانيته الكريمة الرحيمة .. مازالت هي هي .. تومض في أعماقه .. وتشتعل بين جوانحه .. وتبعث فيه خيوط الصفاء .. ورقة الإنسان .. وعذوبة الحب الكامن بين جنبيه .

الفقير إنسان جردته حياته من أضرار المادة وأخطارها ، فلم تطف على أفكاره نعمة الجشع .. ولم تلوث يديه دماء الاحتكار .. ولم يعكر هدوء نفسه وطمأنينتها انتصاره لرغبة حقاء هي منه وله دون سواه من إخوته الناس ..

الفقير .. إنسان خلق بنصيب كغيره من الناس .. ونصيبه الذي مكنته له حياته مهما كان لا يعني هوانه في لائحة الوجود . ولا يعني أن إجدابه وقحطه في قاموس حياته المادية نقص في المكانة .. ولا دليل على إهانة ... فالذين قادوا مواكب البشرية والذين حملوا مشاعل الدعوة .. والذين أضرموا روح الحب والحياة في هيكل الأجيال الزاحفة .. كلهم .. أو جلهم كانوا فقراء .. نعم كانوا فقراء .. كانوا يملكون أن يكونوا أغنياء .. يملكون ما يطردون به شبح الجوع . ورقة الفراغ والحاجة . ولكنهم أبقوا على الفقر .. أبقوا على حياتهم المبسطة الهادئة .. أبقوا على الظلال التي تقيمهم وهج الطمع .. وبريق الرغبة الجائعة .. ومآسي الانكماش في زوايا الافتراس .. بل وأبقوا على أرضهم وطاء .. وعلى سمائهم غطاء .. وعلى فراغ بطونهم غذاء .

الفقير يستحق مني ومنك الرحمة .. إن لم تكن الرحمة بأموالنا .. وطباعنا .. وتخفيفنا عن آلام فقرهم .. فلا أقل من أن تجمعنا بهم حسنة السلوك ورقة المعشر .. وبشاشة اللقاء ... ثم إشعارهم بأن لهم كفة لا ينتقصها أن يكونوا فقراء ، ولا يخفف من ثقلها أن يكونوا معدمين ...

عادة مرة يا « كجا » .. ما زالت تشين علاقتنا بإخواننا ممن أحنى عليهم الزمن فجردهم من سلطة المال .. عادة تؤكد مدى قسوتنا في وجه الفقراء لا

في وجه الفقر.. قسوتنا في وجه الفقراء... تجاهلاً لهم.. تحاملاً عليهم.. واستخفافاً بهم.. وليتها كانت قسوة في وجه الفقر.. قسوة تطيح بظلاله القاتمة.. بأشباحه المترقصة.. إذأ لما كان هناك شعور بالنقص.. شعور بأن هنا من يسلم عليه ويرد عليه.. ومن يسلم ولا يرد عليه.. شعور بأن هنا من يستحقون الرحمة والمحبة ولكنهم لا يرحمون.. ومن يستحقون الجزاء والعقاب.. ولكنهم لا يعاقبون..

شعور بأن هنا من يتمسك بأهداب الصفاء فلا يثاب.. ومن يتمسك بأهداب الجفاء.. ولا عقاب..

شعور بأن المجتمع لا ينصف نفسه.. لا ينصف الناس.. لا يميز بين الفقر البريء.. والفقر الكافر.. بين الثروة البريئة والثروة الكافرة.. شعور بأننا نحتاج إلى -مجهر-.. إلى -تلسكوب- يزيل الغمة عن أبصارنا.. يكشف الظلمة عن أفقنا.. يحيل مجتمعنا المجزأ المتنافر إلى مجتمع مثالي يزدرى الخطيئة والإجرام في شبحي الفقر والغنى.. ويقدس الفضيلة والخير في شبحي الفقر والغنى أيضاً..

صديقي «الكجا»

ما أحوجنا إلى أن ننصف الفقراء.. ألا نشعرهم بالصغار. بالهوان.. بأنهم دون مستوانا لأنهم لا يملكون ما نملكه من مال، فالمال وحده لم يكن مقياساً لفضيلة ولا رذيلة.. ومثله الفقر لم يكن مقياساً أيضاً لفضيلة ولا رذيلة.. وإنما الفضيلة أو الرذيلة هي تلك الطباع التي تنشأ.. هي تلك الخطوات التي تطبع.. تميزها مؤثرات النفس.. واندفاعات العاطفة.. وتموجات العقل بين زحام الزمن العنيد.

إن ديننا السمح يحتم علينا أن نرحم.. أن نرحم الفقير.. نرحمه بمالنا.. بمواساتنا.. برحابة صدورنا.. بابتساماتنا، بأن نشعره بأنه إنسان كغيره لا ينتقص من قدره فقر ولا حاجة.

وأخيراً يا « كجا » إن علينا أن نساعد على فقره، لا أن نساعد الفقر عليه فنحطم ما تبقى لديه من ثقة في الحياة..

تلك هي واجباتنا التي يحتمها ديننا السمح.. شرعنا النبيلة وضمير البشرية الحر المنصف.. واجباتنا تجاه كل فرد أخنى عليه الفقر. وقست عليه يد الدهر.. فهل نصف الفقراء.. نصفهم ولو بأخلاقنا على الأقل.. نشعرهم بكرامتهم كبشر.. كأناس لهم في عالمنا كفة وميزان؟ ليتنا نفعل ذلك.. ليتنا ننصف. إذاً لما كان هناك فقر مال.. وفقر طباع.. فقران يفوق ثانيهما أولهما مرارة.. وبشاعة.. وأسفاً..



# لمجتمع المشالي النعاوني في دنيا النمل

صديقي «الكجا»!

إنها قصة تافهة .. قصة أطفال ، أو هكذا يبدو لي مع الأسف .. ولكن ما ذنبي وذنبك ونحن نعيش في مجتمع أطفال .. ولكنهم أطفال كبار غير أبرياء؟ نعم ما ذنبي وذنبك أن أسرد عليك قصة تافهة كحياتنا التي نحياها .. كحياتنا التي نودعها المجهول ثم لا يهمنا أن تموت تحت وطأة العدم وثقل الأيام .. أن تبخر أمام وهج الخريف .. الخريف الذي لا نضارة ولا ورود فيه ..

قلت لك : إنها قصة تافهة .. وأتفه من القصة كاتب القصة .. وإذا فلا غضاضة عليه وقد اعترف بما هو عليه .. وبما هو فيه .. أن يسرد القصة كما يراها ، أن يحكي القصة التافهة في نظره لا في نظر الحياة .. فالحياة لا تكون تافهة .. وإلا لما كانت حياة ..

القصة أيها الحبيب المجنون قصة — نمل — أو — نملة :

أما كيف جاءت هذه القصة فلها قصة ..

كنت مع نفسي في حيرة .. كنت أفكر وأتساءل فيم أفكر .. كنت ضائعاً أبحث عن ضائع .. ولا أدري كيف ساقطني الحيرة إلى نظرة شاردة .. نظرة لم يكن لها معنى إلا أنها تبحث عن شيء تدريه .. لا تعرف ما هو .. ولا كيف يكون .. لا تدرك كنهه ..!

وجاءت تلك النظرة الحائرة الشاردة على حركات نملة .. نملة .. صغيرة كنفسنا تماماً .. سوداء كطباعنا تماماً .. لقد كانت تصنع شيئاً .. كانت

في زحام مع نفسها من أجل لقمة العيش .. وفكرت فيما تصنع .. وألفيت أن  
الثقل يصنع المعجزات .. يسعى إلى قوته .. إلى حياته بتلك الطاقات الذرية  
والنووية التي نسعى بها نحن إلى موتنا .. إلى إبادتنا .. إلى حصد ذخيرتنا ..!

ورأيته وكانت محملة بقطعة من التمر تكبرها عشر مرات .. أو أكثر .. إنها  
تحاول في إصرار أن تجتذب تلك القطعة الكبيرة بالنسبة إليها .. تجتذبها إلى  
جحرها .. إلى أولادها .. إلى أهلها .. إلى قومها .. إلى كل الثقل .. ولكن  
قواها ارتدت إليها خاسئة حسيرة ذليلة ..؟ فالنملة تملك طاقة محدودة من  
القوى .. طاقة تخر أمام الثقل الجبار كثقل تلك القطعة من التمر بالنسبة  
إليها .. ومع هذا .. مع هذا الثقل .. ومع طاقتها المحدودة، كانت في مد  
وجزر .. في تشبث وتصلب .. وفي محاولة كبرى .. فتارة تحاول اجتذابها إلى  
اليمن .. وأخرى إلى الشمال .. وتارة ثالثة تحاول اجتذابها من أعلى وإلى  
أعلى .. وكأنما شاءت ألا تترك طريقاً إلى غنمها إلا سلكته .. كنت يا  
أخي أنظر إليها وأنا أقول مع نفسي:

( أين هو الإنسان ليأخذ دروس حياته وكفاحه من واقع غملة ؟ )

وليت الإنسان أخذ دروس حياته وكفاحه من غملة إذاً لصنع المجتمع  
البشري المثالي .. ولكن سامحه الله .. شاء أن يكون — إنساناً — ألا يكون  
كالنمل تعاوناً .. تضافراً .. واتحاداً .

ومرة ثانية أعود إلى الغملة وقد امتد بها الصراع .. وقد امتد بها النزاع ..  
كما لم يمتد إليها اليأس ولا التبرم .. ولعل الغملة وقد أعيتها المحاولة الكبيرة  
فكرت .. وقدرت .. وتذكرت مجتمعا المثالي . مجتمعا التعاوني .. تذكرت  
النمل فأسلمت لخطاها العنان .. لأنها في حاجة إلى النمل ..

مسكين الإنسان .. مسكين أنا . لقد ظننت لها طباع الإنسان .. طباع  
العجز .. طباع الملل ، فضحكت في سخرية منها وأنا أتمتم :

( عجزت النملة .. يا لها من تافهة حقيرة تحاول المستحيل دون أن تفكر  
أو تقدر .. )

وضحكت منها كما كانت عادة أحدنا نحن البشر حين يهزأ من أخيه  
لسبب أو دون سبب .. ولكنها ضحكة سرعان ما تلاشت .. وماتت فوق  
شفتي .. لقد أبصرتها عائدة .. أبصرت النملة ومعها نملة أخرى .. نملة ثانية  
كانت تجري خلفها لا تكاد تنحرف عن طريقها قيد أنملة واحدة .. ونظرت  
إلى قطعة التمر .. وإلى النملتين . إلى الصراع بين الحاجة والمحتاج .. وكان على  
أشده .. ولكن قطعة التمر أيضاً كانت أكبر منها خمس مرات أو أكثر .. كانت  
تتحرك . ويبدو لي أنها انزاحت بطيئة .. بطيئة عن مكانها .. هذا ما أحسسته  
النملتان على ما يبدو .. لقد كان إحساسهما أنها في حاجة إلى مجهودات  
أخرى .. مجهودات نمل يحمل عنها الثقل ، أو قل : يخفف عنها الثقل على أقل  
تقدير .. وإحساسهما لم يكن فكرة مجردة .. لم يكن خاطرة جافة . وإنما كان  
خطوة فعالة دفعت بإحدى النملتين لأن تعود مرة ثانية من حيث جاءت ،  
وكانت تبحث عن أسرة مجتمعها التعاوني المثالي في سبيل التعاون ومن أجل  
المثالية .. ؟

ومجتمع النمل يا « كجا » لا يعرف الأنانية .. لا يقر الفردية .. لا يؤمن  
بالحسد ولا بالحقد .. إنه يؤمن فقط بأن حياته ملك لغيره .. ملك لكل  
النمل .. ملك للجميع .. ومن أجل هذا هب النمل يناصر .. ويضافر . ويعمل  
من أجل غيره .. من أجل كل النمل .. من أجل الحياة التي يحياها ..

لقد عادت النملة بنمل . عادت ومعها ثلاث من أعوانها .. وكانت خمس  
قوى .. واحدة كانت ترابط أمام الوجبة الكبيرة ، وأربع عادت إليها لتحمل  
معه تلك الوجبة حيث يطعم شعب النمل في مساواة .. وحب .. وإخاء ..  
وأبصرت تلك القطعة من التمر وكانت تعبر طريقها ، تجذبها سواعد  
طويلة مفتولة .. سواعد تلك الأسرة الصغيرة التي يتكون منها المجتمع الكبير

لأسرة النمل .. أبصرتها . والحقد .. الغيرة .. الحسد .. الغيظ .. كل ذلك يملأ  
نفسي .. لقد جننت ، وكيف لا يجن إنسان ساذج غرّ مثلي وهو يبصر عالم  
النمل تعمّره وحدة السعي .. وحدة العمل .. وحدة الجهود دون أن يقوى هو  
نفسه — وهو الإنسان صاحب العقل المفكر — على إيجاد مجتمع مثالي تعاوني  
كمجتمع النمل .. ذلك الصغير الحقير التافه في نظره ..؟

وبعد يا « كجا » هل سررت لهذه القصة التافهة؟. إن كنت كذلك  
فأنت تافه مثلي ، وإن لم تكنه فأنت إنسان .. إنسان يعيش في مجتمع من لون  
آخر .. مجتمع لا يؤمن بالسفسطات والخزعبلات .. بالقصص الساذجة كتلك  
القصة التافهة لمجتمع النمل .. النمل الصغير الحقير التافه في نظرنا نحن أرباب  
العقول .. نحن بني الإنسان .. نحن الذين لا نفتقر كما نرى إلى مثالية  
وتعاون .



# كلنا عنوانها ..!

صديقي «الكجا»

لئن كان فهمي وفهمك للحياة ظنوناً وجنوناً فلکم خسرنَا .. ولكم أسأنا  
إلى أنفسنا وإلى حياتنا الفهم ..

ولئن كان مدى علمك وعلمي بالحياة أن نأكل كما يأكل الحمار .. أن  
نلهو كما يلهو الحمار .. وأن ننام كما ينام الحمار، فلکم كنا حميراً أصيلة  
ولكن من طبقة بني الإنسان ..

ولئن كانت صلتنا بالآخرين استعماراً واستكباراً فلکم باعدت بيننا  
وبين الناس الشقة والمسافة .. ومزقنا بصنيعنا سياج القربى .. وغلالة  
الحب ..

ولئن سبق يا «كجا» ظنك تفكيرك .. شكك إيمانك .. وخديعتك  
وفاءك .. وكدرك صفاءك .. فلکم قبرت بيديك روحك .. عقلك المفكر  
الكبير، وإنسانيتك التي أوجدها الله لك لتعيش في وارف ظلها شخصاً  
متكاملاً عادلاً .. وأصيلاً ..

ولئن سبقت عينك الإغفاءة .. لئن طلبت مآقيك النوم دون أن تدع  
للصحوّة متسعاً من حياتك .. ومتسعاً في حياتك .. متسعاً للإنتاج .. ومجالاً  
للحركة .. فلأنت حي ولد بلا روح .. ومن ولد بلا روح فهو ميت وإن  
كانت له أنفاس الريح العاصفة المجنونة .

ولئن كنت يا «كجا» عملاقاً في طولك .. محيطاً في حصيلتك من  
المال .. يقصر يوسف بن يعقوب دونك جمالاً وبهاء .. وكانت لك مع ذلك



سمة الأنانية.. وطابع الشح.. وقصر اليد.. فلأنت أحلك من الليل..  
وأقصر خلق الله إنساناً وخلقاً..

ولئن كنت يا «كجا» تملك رقة اللسان.. عذوبة النطق.. وسلاسة  
الحديث.. تملك ذلك كله.. ولكنك تملك مع ذلك كذب الحديث..  
اختلاق الألفاظ.. فإن تلك الرقة.. تلك العذوبة.. وتلك السلاسة إنما  
تجسد القتاد.. وإنما تصور الحراب الرعناء وهي تمزق أحشاء الفضيلة..  
وخفقة الوجدان والضمير..

ولئن كنت يا «كجا» ترى في نفسك.. في بيتك.. في كنوزك وفي  
أفقك الفردي عالماً لا يصلح لأحد.. بل لا ينفرج لأحد غيرك وغير من  
تهوهم فقط ممن لا يزيدون في رصيد وحدتك إلا الوحدة.. ولا في محيط  
عالمك إلا الفراغ.. لئن كنت ترى في نفسك ذلك فإن في عزلتك.. في  
صدودك.. في امتحانك لغيرك ألف حساب وحساب، كلها نقمة.. كلها  
ازدراء.. كلها صدود وكلها امتحان لك..

نعم.. امتحان لك وحدك أنت.. ومن إخوانك الناس..  
ولئن كنت لا ترى الدعوة إلا للقوة.. وبالقوة.. لئن كنت ترى أن فقرك..  
أن ضعفك.. وأن هوانك على الناس ينتقص من جوهر دعوتك.. من  
كبريائها ومن غلوائها.. فلکم أنت مخطيء.. واهم.. مخطيء إلى أبعد حدود  
الخطأ..

ولئن كنت يا «كجا» تخال الأبواب تفتح بالقوة وبالعنف..  
بالشدة وبالضوضاء، فلکم أوصدت أبواب أمام أشداء حمقى كانت  
مفتوحة على مصراعها لدعاة الرفق وناشدي الرحمة والرأفة..

ولئن كنت ترى الحياة مرحلة فقط.. مرحلة لملء الفراغ.. دون أن تجهد  
نفسك في معنى ذلك الفراغ.. معنى ملئه وبماذا يملأ.. لئن كانت تلك فقط  
هي نظرتك للحياة.. فلکم كانت نظرة مبتورة عمياء لا تنبئ عن إدراك..

ولا تنم عن وعي.. ولا تدلل عن فهم لماهية الحياة.. فالحياة مزرعة... مزرعة يقتات منها الجسد والروح معاً.. وما غذاء الجسد إلا صالح الغذاء ودسمه.. وكما أن الجسد يا «كجا» لا ينميه إلا البذور الصالحة التي تنسج عش الفضيلة.. وتقوم سقيفة الأخلاق.. وتقيم عماد الحياة وجوانبها، فكذلك الروح لا تنميتها إلا القيم الصاعدة لإشباع حقيقة الروح.

ولئن كنت تؤمن بالسرعة في كل شيء.. لأنك في عصر السرعة.. فيجب ألا يغرب عن بالك.. أن بعض السرعة طيش.. أن بعض السرعة ارتجال.. وأن بعض السرعة خيال وجنون.

فالحكمة يا «كجا» ليست في أن نشيد هذا البناء في أسرع وقت دون النظر إلى النتائج. وإنما الحكمة في أن نتدبر ونتملى.. ونرسم الخطوط.. وبعد هذا كله فلا ضير علينا من السرعة.

ولئن كنت تحب نفسك.. تحبها من كل أعماقك.. أعماقك الحية. تحب لها الخير.. وتنتظر لها البقاء.. فإن عليك أن توزع تلك النفس بما تحوي من رقة ونصح.. وعطاء وسماحة.. توزعها على إخوتك ممن يأنسون بالرقة.. ممن يحتاجون إلى العظة والنصح.. ممن يفتقرون إلى العطاء وإلى الغذاء.. ومن يكون لهم من سماحتك دثار يهدى من نفوسهم الثائرة.. ومن أعصابهم المضطربة المكدودة..

لئن كنت يا «كجا» إنساناً تحب الحياة لا لتأكل ولكن لتعيش. فخذ من مراة المرض سياجاً للصبر.. وخذ من حرارة النار احتمالاً للمكاره.. وخذ من رقة الدموع تعبيراً للرحمة.. وخذ من بسمه الصغار تصويراً لبراءة الحياة.. وخذ بعد ذلك كله من الحياة نفسها.. من كل انفعالاتها.. وحالاتها دروساً، لا تملأ بالك بالارتباك.. ولكن لتفسح في بالك البال.. لتجعل منك قاموساً حياً يحوي الصبر.. الحذر.. الرقة..

الصفاء.. ويحوي إلى جانب ذلك كله الاستعداد لكل طارئ أو جديد..  
ولكن من أجل الحياة.

لئن كنت تقدر الحياة.. تقدر حياتك.. حياة إخوتك البشر.. تزن لها  
القيمة.. وتدافع عن ساعاتها التي تمر فترتمي في أحضان الزمن البعيد دون  
أن تملأ بجلائل الأعمال.. دون أن تذهب مثقلة في موازينها.. فإن عليك  
أن تثبت حياتك عملاً.. وقولاً.. أن تكون لبنة في صرح التاريخ التليد..  
لبنة ثابتة قوية لا تتحطم.. وإنما تسخر من المعاول وعوامل الهدم  
والتخريب..

ومن كان حياً.. جاء له كل شيء راضياً بما يهوى.. إلا الموت فإنه  
يأسف لتسلم أرواح الأحياء.. لا بقتلها، ولكن بتجريدها من أجسادها  
فقط. وجسد فارقه روحه أزهقت منه الأنفاس.. قبرت معنوياته.. مات.



# الدجاجة الفاضلة

صديقي «الكجا»

في الدجاج كما في الإنسان وغير الإنسان يوجد خير وشر.. انتقام وغيره.. استعمار واستكبار.. رحمة وعدل.. والذين يبصرون ولو ساعة عالم الدجاج.. يبصرونه وهو يعج ويضج.. يتآلف ويتنافر.. يدركون مدى الشبه الكبير بين عالم وعالم..

بين عالم يعمره الإنسان بفضيلته ورذيلته.. وبين عالم آخر يعمره الدجاج برحمته.. وبظلمه.. ولولم يكن في حياتنا الخاصة قصة دجاجة — إنسانة — إن جاز أن يعطي لها هذا الوصف.. لما حكمنا.. ثم لما علمنا دجاجة صغيرة يا أخي ولدت.. ثم نمت كما ينمو كل طفل صغير يحوجه الحنان.. ويفتقر إلى الحب.. ولكنها على غير ما يولد الإنسان، ولد معها مجموعة كبيرة من أقرانها في مثل سنها.. وكان لها وحدها من أمها النصيب المر.. الباكي!..

لم تعطف عليها أسوة بإخوتها الفراخ.. بل لم تدعها وحيدة طريدة وكفى، تنعم في ظلال وحدتها بالطمأنينة والأمان، وإنما لاحقتها بمنقارها الطويل، وأحكمت في جسدها الصغير مخالبا عضاً وفتكاً وإيذاء.. وفزعت الدجاجة الصغيرة من عالمها.. من إخوتها.. من أمها.. كانت تبصر الموت كلما نظرت إليها أمها، وفي عينيها يحدق الموت الأصفر.. ويطل عليها مروعاً مفزعاً.. ومن أجل الحياة التي تخاف الموت كانت تهرب من أمها.. من إخوتها.. كانت تلجأ إلى أحد أفراد أسرتنا، وكأنما كانت تناشده النصرة.. الإنقاذ.. اللجوء من عذابها الطويل.. المتلاحق..

وكانت لها الرحمة .. لقد نصرها .. وأنقذها من في الدار. كانت لاجئة وحيدة تحتل مكاناً صغيراً، وحدها .. ترعاها طفلة صغيرة من الأسرة .. تطعمها .. وتسقيها .. حتى ألفتها الدجاجة الصغيرة .. وألفت فيها أمّاً ثانية لا تظلمها كأُمها الأولى وإنما ترحم .

وشبت الدجاجة يا « كجا » نمت وترعرعت في ظلال سلام عالمها الصغير حتى كانت تسابق إخوتها نمواً وشباباً ، وبعد فترة من زمن استطاعت أن تخط طريقها وحدها لتعيش مع إخوتها رغم مكيدة أمها الدجاجة .. فقد كانت تملك القوة والدفاع .. كانت دجاجة كأُمها .. ولكنها حين عادت لتعيش إلى جانب الدجاج عادت بإدراك جديد .. بتجربة قد لا يعرفها الدجاج .. قد لا يعيشها لقد عاشت وبين جنبها رحمة كبيرة .. رحمة لا تؤمن بالتشريد .. بالطرد .. وبالأذى .. فقد تذوقت نفسها مرارة الطرد والتشريد والأذى .. وجاء دور الدجاجة كأُم .. كانت أمّاً يتموج من حولها عشرات الفراخ الصغيرة .. ولكنها لم تشرد واحداً منها أو تلاحقه .. كانت تحنو عليه في أمومة متناهية رحيمة .. كانت ترعاه .. تظله بجناحيها لتقيه أنفاس الهاجرة .. وقسوة الشتاء ..

ولم تكن تلك قصتها فحسب .. لقد جعلت من نفسها أمّاً كبيرة .. أمّاً عالمية .. كما يصنع بعض أفاذاذ العالم من المصلحين .. في فترات من التاريخ .

نعم .. كانت أمّاً كبيرة لغير أولادها .. لأولاد الدجاج الآخر الذين يتعرضون في حياتهم إلى الطرد والتشريد والوحدة .

اصدقني يا « كجا » لقد عشت حياتها أوجزءاً من حياتها بنفسها .. لقد أبصرتها وهي تلتف حول -فراخ- ثلاث طاردهم أهمهم .. ولاحقهم وكانت تريد لهم الموت .. لقد التفت حولهم تدفع عنهم الأذى .. تحميمهم .. ثم تنقذهم بما تطعمه لهم من حبوب وماء ..

لقد تكرر دورها - الإنساني - أكثر من مرة .. كانت أمًا لأكثر من  
-فراخ-.. أمًا لا شر معها.. لا استعمار في حياتها ولا استكبار في تصرفاتها ..

كانت أمًا .. كانت داعية سلام في عالم تتحكم فيه طباع البشر. طباع  
الشر.. وأحابيل القسوة والعنف. إنها اليوم.. دجاجة كبيرة.. كبيرة في  
قدرها أمام الحق.. كبيرة في سنّها أمام الأيام.. ومع كبرها ما زالت تحنو..  
تحمل جسدها الثقيل لتحمي هذا.. ولتنصر ذاك. لقد أسمتها الطفلة  
الصغيرة -الزعيمة- أعطتها صفة الزعامة.. وإباء الزعامة.. وكانت بحق في  
نظري زعيمة.. نعم زعيمة مثالية. حتى لو كانت دجاجة.

إن جميع من في الدار يحبها.. كما لو كانت طائرًا جديدًا من السماء..  
هبط إلى الأرض.. يحمل تبشير السلام والمحبة والألفة. لا يعرف لونًا للشر..  
ولا يستسغ عملاً في سبيله. كلهم يحبها.. يربها.. وأكثر منهم حباً لها تلك  
الطفلة الصغيرة التي ما إن تدعو الدجاجة بلقبها الجديد -الزعيمة- حتى تدنو  
في حياء. وتواضع. وحب.. لتربض في حجرها الصغير، ومن فيها تتدفق  
-قوّاتها- الرخيمة الحبيبة.

إننا ندعو لها بطول العمر.. فهي سحابة من رحمة تظلل عالم الدجاج..  
عالمه الصغير الذي تعيش فيه اليوم.  
إنها في نظر الحياة خير ألف مرة ومرة من مجموعة من الناس لا ينصفون  
الحق.. لا ينتصرون لمظلوم.. ولا يعينون البائس بل ويخطئون.. ويخطئون..  
وهم مبصرون..

اللهم أطل عمر الدجاجة أو-الزعيمة- كما أسمتها الطفلة البريئة.. فهي  
خير وبركة لنا.. وللفراخ الصغيرة التي ترحم..  
أطل عمرها.. ثم ارحمها يا رب كما ترحم عبادك المنصفين من البشر  
حين يدركهم الموت.

# هواة .. حمقة ..

## صديقي «الكجا»

كان رفيقاً لي منذ أن كنتُ طفلاً .. يملك سذاجة الأطفال .. ومرح الشباب .. وزهو المعجبين . في حديثه نوع من السذاجة .. وفي صمته معنى البراءة .. إلا أنه حين يغضب تجرّده تلك الغضبة من كل أتران .. وتسلبه كل هدوء .. جمعني به الفقر .. الفقر في حاضري وحاضره .. ثم الفراغ الذي كنت أقتل فيه روحي الصغيرة .. وحياتي الصغيرة .. كان حين لا يجدني يهرع إلى دار أمه يبكي .. وكنت حين لا أجده أهرع إلى دار أبي أبكي .. كلانا يبكي فقد صاحبه .. وكلانا يشكو فراق الآخر .. وليت الفقر طال يا «كجا» إذاً لكنك معه وكان معي .. لا ترعجني منه غير غضبة لا تلبث أن تذوب في ابتسامة نفسه حين أدغدغ جنبه .. فيضحك ثم يضحك ثم ينسى أنه غضب ...

والدموع يا صديقي «الكجا» تبدأ من هنا .. من هذه المرحلة التي سأحدثك عنها .. من مرحلة النصيب الكافر الذي يحشر الإساءة في أعماق الإنسان ، ويدفع بالكفران في أغوار النفس البليدة .. من نقط الالتفات إلى النفس المحمومة العلية بأنفاس الكبرياء . والغرور ..

لقد قفز به النصيب بعد أن استوى شاباً تضج في كيانه دماء الثورة والفتوة .. كان يملك شيئاً من دراية .. أو قل شيئاً من حظ ساقه إلى أحد المكاتب ليحتل مكانه بمرتب ليس بالكبير ولا بالصغير .. كان يبدو في نفسه وكأنما قطع مرحلة كبيرة تباعد بينه وبين علاقته بالناس .. بين الالتفات

إليهم .. والاجتماع بهم .. وحتى التحدث إليهم . سيات في ذلك من كان لهم معه رابطة ذكريات الطفولة والشباب .. الذكريات التي تعني الحب .. وأولئك الذين لم يتعرف إليهم ولم يتعرفوا إليه .. كان يرى الحياة من حوله .. الحياة بما تضج به من أنفاس وأرواح .. كان يتطلع إليها وقد باتت في نظره جافة ذابلة لا تصلح لأن يلتفت إليها .. ولا أن تعار أئماً التفاتة .. اللهم إلا أولئك النفر الذين يكبرونه مركزاً ورتبة .. أولئك الذين تربطه بهم وشائج المصلحة .. وعلاقة «الروتين» اليومي الذي يؤديه دون أن يحس فيه بنشوة غير نشوة الكبرياء التي تلعب في رأسه ، فتوهمه أنه من طينة غير طينة البشر .. طينة لها قدسيته ولها جلالها الرهيب .

وعلى الرغم من أنه لا ينسى .. لاقيته .. كانت صدفة .. لاقيته على غير ميعاد .. كنت أدري عنه جنون الخيلاء .. وكنت أعرف عنه صفاقة المغرورين .. إلا أنني لم أكن أعقل أن يتمادى به خيلاؤه وكبرياؤه إلى الحد الذي يرفع إليّ كفه دون حياء .. أتدري لماذا رفع إليّ كفه يا صديقي «الكجا»؟! ..

كان يطمع مني أن أهوى على كفه عناقاً وثماً .. أن أشبعها ثماً بشفتي في ذلة ونذالة .. أن أحنى هامتي تقديساً للحظ الأسود الذليل ...

وحين رفع كفه يا «كجا» .. كان ينتظر مني أن تلفحها أنفاسي ذليلة مطواعة .. ولكن أنفاسي كانت محرقة مجنونة يضررها لhib النقرة العتية ..

لقد كانت عيناه مفتوحتين في وقاحة .. كانتا تتحدثان إليّ في نظرات يملأها الحقد والكراهية .. كانتا تطمعان في أن تذللها النظرات فأهوى كالراكم أمثل دور العبودية والرق أمام محراب المجانين .. ولكن شيئاً من ذلك يا «كجا» كان بعيد الاحتمال .. لم أقبل يده .. لم أطأطأ له هامتي في ضراعة واستسلام .. وإنما أفهمته ماضيه .. حقارة ماضيه .. وإنما أفهمته



حاضرته نذالة حاضره .. وإنما ذكرته بأن الانحناء (موديل) قديم أكل عليه الدهر وشرب .. نعم (موديل) واكب عصر الإنسان المفترس المتوحش .. الإنسان الجاهل المتغطرس .. ولكنه ظل بالنسبة إليّ كما هو في نظراته الفاحصة الشوهاء .. في تقطيعته الجامدة الصفراء ... وفي إمعانه بالاستهتار الخفي ... السخرية المرة من فلسفة «مجنون»!!..

نعم من فلسفة مجنون!! في نظره يا «كجا» .. هكذا قال عني .. وهكذا نقل عني .. وهكذا وصفني أمام جماعة من أصدقائه ممن ابتسم لهم الحظ فصنع منهم رجالاً .. رجالاً يؤمنون بلثم الأكف .. بانحناء الهامة في عبودية وذلة ..

وبعد .. يا صديقي «الكجا» ماذا سنقول في حق هؤلاء الناس .. أنصاف الموظفين .. وأنصاف الأصنام ..؟ ماذا سنقول في حقهم وقد مدوا راحاتهم لشفاة الأذلاء المرتعشة؟! .. وقد باعوا الكرامة تحت أقدام الرق وفي سوق النخاسين؟! ..

آه من شقوة البشر يا «كجا» ما أسرع ما تنهار أقدامهم تتخاذل أمام طوفان الشهرة والشهوة .. ثم ما أسرع ما يستسلم الضعفاء إلى عتبات الرغبة الذليلة دون إدراك أو وعي .. دون أن توقظهم كرامة النفس .. ودون أن ينتهرهم وخز الضمير الحي .. ضمير الكرماء الشرفاء ..

تلك هي مفاهيمنا الاجتماعية الحزينة يا «كجا» .. مفاهيمنا حول علاقة بعضنا ببعضنا الآخر .. وحول نظراتنا إلى الآخرين ممن هم دون مستوانا مادة وجاهاً!

مفاهيمنا نحو مد قيود جديدة تكبل بأغلالها روح الفرد .. وكرامة الفرد .. وحرية المطلقة منحها له المشيئة دون أن تخضعه إرادة إنسان

عابث.. أو مستكبر.. ودون أن تطوقه حدود زائفة صنعها الشيطان ليربط  
فيها بين الصنم وبين المحمّدين حوله ممن تعثرت بهم خطوات النصيب  
والعقل..

اللهم إنّنا ندرأ بسلطانك وعزّتك حماقة الشيطان وكل «شيطان» .  
ونبرأ إليك من كل قيود صنعها عبّاد الشهوة والتكبير في طريق  
الحياة...

نسألك الحياة حرة كريمة كما أردتها لخلقك.. وكما دعوتنا إليها.. وكما  
عرفتنا بها، إذ هي كل ما يطمع إليه الشرفاء من خلقك يا رب .



## مرقعة الهرم لأم من قمت

كل بلد في الدنيا له مظهر جميل رائع تنجذب له النفوس ..  
القطر الذي أخذ قسطاً كبيراً جداً من الحضارة .. والقطر الآخر الذي  
أخذ أو لم يأخذ حتى القسط اليسير من الحضارة أيضاً ..

كل بلد في الدنيا له مظهر جميل رائع يا « كجا » تنجذب له النفوس ..  
فهل هذا المظهر الجميل الرائع يصح لأن يكون مقياساً لنضوج تلك الأمة ..  
لحضارتها .. لرقيتها !!؟؟ هل الشوارع الجميلة المنسقة؟ هل العمارات الضخمة  
العملقة؟ هل الحداثق الغناء المورقة الظلال؟ هل كل هذا كاف لأن نقول  
إن بلاداً فيها شيء من هذه المظاهر .. أو تلك الحقائق عبرت طريق حياتها  
بكل القافلة وبكل الرواد .. على طريق السلامة؟

أنا أقول : لا .. وأعض على كلمة (لا) بالنواجذ، لا حباً وإغراقاً في  
السلبية والنكران .. وإنما لأحدد مفهوم كلمة (لا) من شيء أعنيه ..  
وأقصده ..

الهرم ينظر إليه من القاعدة .. يبتدىء منها ثم تتلاقى أضلاعه لتكون  
رأساً هو ذروة الهرم وقته .. نهايته ..

وهرمنا الاجتماعي قاعدته لا تأتي .. لا تبتدىء من مدينة أو أكثر من  
مدينة، جندت لها كل الإمكانيات المادية، لتبدو أمام الرائي عروساً يطرب  
لها .. ويتغنى بجماها وروعها .. وتنسيقها ..

هرمنا الاجتماعي هو كل أرضنا .. هو كل جزيرتنا .. هو تلك القرى  
الصغيرة القابعة بين التلال .. وفي السفوح .. وعلى مدرجات الرياح الصفراء

الغاضبة التي تهب وتدفن بذراتها أبواباً ضيقة لا تتسع لسالكها..  
وروادها..!

هرمنا الاجتماعي هو الصحراء «الخصبة» الصامتة.. الصحراء  
الغنية.. والفقيرة بغناها.. لأنها تعيش تحت رحمة الاتكالية.. وتحت  
ويلات العزوف.. والانصراف! هرمنا الاجتماعي هو البادية.. التي لا تطعم  
علماء.. ولا تطعم أكلاً.. ولا تطعم توجيهاً للكسب والإنتاج الصالح.. لأنها  
لا تفهم شيئاً.. ولأنها لم تفهم بعد.. هرمنا الاجتماعي يأتي من إنتاجنا..  
من اكتفائنا الذاتي.. من تفجير قوانا وطاقاتنا الكامنة لنزرع الحقل.. كما  
نزرع المدفع لنحصد من حقله المنعة والقوة.. والبناء..

هرمنا الاجتماعي أن نكون أوفياء.. لأرضنا.. لقد أعطتنا الأرض  
البلايين.. أعطتنا وأعطينا.. ووعدتنا بالعطاء الكثير.. ولكن نفوسنا غير  
الوفية تركت الأرض.. ذهبت لتعمر أرضاً ثانية في جحود وتحذ وخيانة..  
هرمنا الاجتماعي هو أن نرسم الأهداف.. أن نفكر فيها.. قبل أن  
نقدم على تنفيذها.. وأن تكون مجموعتنا الشعبية أولاً وأخيراً هي الغاية لتلك  
الأهداف لا الوسيلة.. أو السلم والمطية..

حين يسألني سائل عن بلد ما: (أزرتها؟! ) لن أقول نعم ما لم تكن  
زيارتي لها ابتدأت من القاعدة لا من القمة.. من القرية لا من المدينة..

وحين يسألني سائل أيضاً عن حضارة تلك البلاد.. عن مدنيتهما..  
سأفتش عن واقع الفرد العادي الذي يعيش في الغابات.. في الجبال.. في  
الصحاري، وسأقول الحضارة والمدنية مستمدة من حاله.. من واقعه الذي  
يحياه.. لا من واقع المترفين الأثرياء..  
وهكذا نحن هنا..

إن قصوراً تشيّد.. وشوارع تفتح وتخطط.. وحدثات تنمق.. في  
كبريات مدننا ليست معياراً صحيحاً لتقدمنا وحضارتنا، ما لم تكن عجلة

تلك الحضارة وذلك التقدم قد أخذت سييلها إلى واقع القرية الصغيرة،  
لتجعل منها نموذجاً حياً متكاملاً لمعنى الحضارة.. ولشكل التقدم الذي  
نريده ونطمح فيه. إننا نخدع أنفسنا حين نقول شيئاً عن تقدمنا!!  
أين هو ذلك التقدم يا «كجا»؟!..

أين هو إنتاجنا.. الأطعمة التي نزرعها!! الأقمشة التي ننسجها!!  
المصانع التي نحتمي بقوتها ونلوذ بإنتاجها؟!

حتى الكبريت يا «كجا» لا تنتجه. فهل هذا حضارة؟!  
هل لدينا حضارة؟!

حين لا يكون هنا عاطل..

حين لا يكون لدينا متسول.. أوفقر..

حين لا تجد الأمراض مرتعاً خصباً للإنتاج.

حين لا نستورد حاجاتنا الضرورية وغير الضرورية من أي بلد آخر..

حين لا نغدر بأرضنا.. فننتزع منها العطاء لنقدم لها العقوق والتمرد...!!

حين نزرع في أذهان مجتمعتنا حب العمل.. وصدق العزيمة.. الوفاء..

حين تكون القرية الوادعة البعيدة الضاربة في كبد الصحراء صورة مصغرة

للمدينة في كل حياة أهلها.. عملهم.. أملهم.. إيمانهم.. حقوقهم..

واقعهم الذي يعيشونه..

حين لا نستورد عقولاً.. لأن نبع العقول لدينا معطل لا يجذب.. حين

يجتمع ذلك كله في واقعنا. فإننا سنصرخ في وجه الزمن.. سنلوح في وجه

التاريخ.. سننشر رايتنا. وسنحكي.. سنقول: إننا أمة ذات حضارة

وأعجاد.. أما غير هذا.. فلا.. لا.. وسأعص عليها بالنواجد من جديد..

حتى يؤذن للنواجد بالانفراج.

# أيها الحجج : اسمعونا أصواتكم

للحج صوت لم نسمعه «يا كجا» .. للحجيج قوة لم نرها .. فأين هو ذلك الصوت ..؟ أين هي تلك القوة ..؟

قولوا لنا يا إخواننا الحجج .. يا من امتلأت بكم رحاب مكة .. وضائق بكم ساحات منى وعرفة ومزدلفة .. يا من ترمون الشياطين بججارة سبع .. وتركتهم شياطين البشر. ترمي الأبرياء منكم بوابل من القنابل والمتفجرات المحرقة دون أن ترموها. قولوا لنا يا إخواننا الحجج: أين تكمن الحكمة العظمى من الحج؟ أليست في اجتماع مسلم من الشرق بمسلم آخر من الغرب على صعيد واحد إيطاره الحب .. الإنسانية .. وبث الشكوى .. وتقديم العون؟ .. قولوا لنا أيها الحجج: أي قرار واحد أصدرته جموعكم مشفوعاً بالتنفيذ .. مقرونًا بالقوة الفعالة التي وحدتها مشاعرهم. وجمعت بينها مبادئكم .. وسعت إليها خطاكم من أقاصي آسيا وإفريقيا إلى أقاصي أمريكا وأوروبا..؟

حج كل عام .. حج مبرور نباركه ونشاركه، ونحمد في سبيله كل شيء .. لأنه دين .. ولأنه رسالة .. ولأنه سبيل تعارف وتآلف بين إخوة فرقت بينهم البقاع، وجمعت بينهم مشاعر الدين. الإيمان والطهر .. والبناء..!

ولكن .. أين هي رسالة الحج ..؟ رسالة الوحدة بين إخوة يثنون ذلة من مستعمر .. ويضطون ثقلًا من حل عبوديته .. ويقارعون النار والحديد في ميدان هم وحدهم فيه عوامل الكفاح والاستبسال .. والدفاع..!

أين هي الوحدة في المجهود الإسلامي الذي نادى له الحج ودعا إليه؟ أين هي المشاكل التي تتعرض لها بعض بلادنا دون أن نحلها .. دون أن نجتمع

حولها كلمة واحدة. أو رأياً واحداً ينفذ من طور الفكرة إلى طور التنفيذ .. إلى دور المعالجة والحل السريع .

نريد أن نسمعها كلمة لأكبر مؤتمر إسلامي دعا إليه الدين .. ونادت به الشرائع .. وهتفت له قلوب ملايين الملايين من كل جنابات الدنيا .. نريد أن نأخذ الفلسفة من كل شيء جاء به الحج ودعا إليه ..

فالشياطين التي نزمها بالحجارة رمز لكل شيطان يتحكم بعاطفته وبهيميته في كل زمان .. وفي كل مكان .. وعلى أي صورة وشكل .

وما أكثر الشياطين يا إخوتنا الحجيح ممن تحكمت عاطفتهم وبهيمتهم في مقدرات الشعوب، فراحوا يسخرون حماقاتهم .. وجنونهم . ويصبونها شواطئاً من نار على صدور الأبرياء من إخوتنا في الجزائر. في فلسطين. في عمان. في عدن. والجنوب .. وفي كل مكان من الدنيا تتحكم فيه المطامع والنزعات البهيمية الصفراء الرعناء ..

ما أكثر الشياطين يا إخوتنا الحجيح ! فأين هي حجارتكم لتلقوها عليهم متحدين مجتمعين ؟ .. أين هي كلمتكم لتصبوها عليهم حائقين مستبسلين ؟ إنكم لو فعلتم ذلك في حرارة الإيمان .. وفي قوة المؤمن المجالد كما كان هناك شعب مشرد يملأ كهوف تونس ومراكش . وإخوة له يعيشون في مغارات الأوراس، يكحل مآقيهم بريق القذائف .. ويشنف مسامعهم أزيز الطائرات، ولعلعة المدافع الجبارة وهي تطعن السكون في جنون ووحشية .. وتمزق المدافع الجبارة صدوراً كل ذنبها أنها تدافع عن وطنها !

إنكم لو فعلتم ذلك في حرارة الإيمان .. وفي قوة المؤمن المجالد لما كان هنا في قلب الشرق .. وعلى مسمع من قبة الصخرة المقدسة دولة بغية وإثم وعدوان في أرض عربية .. تمتص من دماء عربية .. وتبيت السوء لكل عربي ومسلم .. دولة أقامها أعداؤنا لتكون خنجراً مسموماً يهدد كياناتنا الإسلامي .. وكياناتنا القومي . ومثل الجزائر .. ومثل فلسطين يا إخوتنا

الحجيج يعيش أبطال عمان الثائرة.. وشعب عمان الصابر.. أبطال الجنوب العربي.. وأشاوس الجنوب العربي يقارعون الخطوب.. ويقدمون الضحايا.. ويناشدون كل مسلم حر النجدة.. النخوة.. فأين أنتم يا إخواننا الحجيج.. يا وفود بيت الله.. يا من لبّيت داعي الله؟

إن أسلوب الحق وحده هو السلاح.. ونحن نملك الحق في كل هذا، فأين هو سلاحنا لنشهره في وجه خصومنا غير هتّابين ولا وجلين؟.. ليتكم يا إخواننا الحجيج وأنتم تلبّون داعي الله للحج.. لبّيت داعي الوطن للجهاد، كلاهما صوت انطلق من رحاب الحق ليملاً الأرض عدلاً.. وجباً.. وإيثاراً.. اجعلوا من حجكم يا إخواننا ما أراد الله الدين أن يكون.. اجعلوا منه مولد ثورة على كل فساد.. مولد قوة على كل بغي.. مولد قبس على كل ظلام.. مولد عدالة على كل تحكم وجور.. مولد حياة وحركة على كل ركود وخمول..

اجعلوا من حجكم مؤتمراً دونه كل مؤتمر.. دونه مؤتمر الأقطاب.. أو الأذنان.. دونه كل اجتماع يعقد.. ودونه كل اجتماع عقد.. فخير المؤتمرات وأبرها ما كانت فيه مشاعر الملايين وأحاسيسهم الصدى الذي تهتز له جنبات المكان.. وتتجاوب له أركانه صدى قوياً خلاقاً..

أملوها قرارات لا تعرف الخور ولا الذلة.. وخير القرارات تلك التي تتحدث عن نفسها بالأسلوب الذي يفهمه منطق هذا العصر.. عصر التنفيذ.. عصر الإملاء.. والإشباع..

إني لا أستثير العواطف.. إني أشير إلى فكرة آمنت بها كمسلم، فسقتها إليكم يا إخواني الحجيج كمسلمين.. وأنتم في موجكم الزاحف الهادر أمام بيت الله.. وأنتم في زحفكم الصاعد لتقذفوا الشياطين بالحجارة.. إني فقط أذكركم بشياطين الإنس وقد ذكرتم شياطين الجن.. فلترجوهم يرحمكم الله..



# وأيضاً.. العيد

قل لي أي شيء هو العيد يا «كجا».. إن لم يكن هو الشعور بالحياة؟!.

قل لي أي شيء هو العيد. إن لم يكن هو إحساساً بالمسؤولية؟  
قل لي أي شيء تعنيه أعيادنا.. إن لم يكن ذلك الشيء إدخال الفرحة على قلب حزين.. إعادة البسمة لشفة لا بسمة بها.. سَلّ الضغائن والأحقاد من قلوب الناس. مَدِّد الأخوة.. الحب.. الصفاء.. إلى كل الناس؟!.

العيد.. لم يكن مظهراً نختفي به.. لم يكن أياماً نقتلها ابتساماً وشبعاً.. وإسرافاً في اقتناء الحلل الجميلة المزركشة..

العيد.. لم يكن دلالة على موائد تمتد هنا.. وهناك.. لتتخمد منها بطون يوماً أو يومين.. ثم تختفي تلك الموائد.. لأن إسراف العطاء.. ولأن إسراف البذل لا يفد إلا مع نشوة العيد.. وأفراح العيد.. وزغردة العيد..

العيد.. إن لم يكن منبعاً للرحمة.. مرتعاً للخصب والخير في أخلاق الناس.. في طباعهم.. في علاقاتهم البعض للبعض.. فإذا سيكونه العيد حين تطوى عليه جوانحنا إشفاقاً.. ولهفة.. ووداعاً؟!.

أعيادنا تمر.. وتمر معها مآسينا.. تمر معها طباعنا.. يمر معها شحنا.. قحطنا.. بخسنا لحقوق بعضنا البعض.. ثم لا ننسى في صفاقة وخيلاء أن نخادع أنفسنا.. نخادع غيرنا بأننا كنا في عيد..

الجيوب الخاوية التي تضج فقراً وإملاقاً ندعها فريسة لفقرها وإملاقها ..  
الجيوب الخاوية التي تتحدث عن ذكريات مرة حزينة ندعها كما هي  
لذكرياتها .. لمرارتها .. ولحزنها ..

الدموع التي تذرف تظلماً وتوجعاً .. هي نفسها الدموع التي لا يكفكفها  
عيد، ولا ينقذها عيد من تظلمها وتوجعها ..

النفوس المريضة التي تنبش الضغائن .. وتبني الأحقاد .. لا يهذبها عيد  
حل .. ولا عيد رحل .. ولا عيد منتظر .. وكأنا كان فهمنا للعيد انطلاقاً  
من ربقة المسؤولية .. انطلاقاً من الوعي الذي يحدد المفاهيم .. ويصحح  
الأوضاع ..

أي عيد يا أخي نخفي به .. ونستقبله .. ونرتمي في أحضانه ..؟!  
إن فينا من لا يملك فرحة العيد .. لأن وحشيتنا .. ولأن قسوة الأيام  
جردته من كل شيء .. إلا من الألم والتوجع ..

إن فينا من تظلمه كآبة اليتيم .. وسحابة الخشية والخوف .. فلا يرى في  
عيد حلّ إلا فترات قاسية تباعد بينه وبين واقع غيره . ساعات ظالمة تشعره  
بأنه خلق للشقاء والترح .. وخلق غيره للسعادة والمرح .

إن فينا من تلقفهم الأكواخ والمغارات الجبلية حين لم يجدوا ملاذاً  
وسكناً .. فينا اللاجئون ممن يعيشون على ذكريات الماضي البعيد في انتظار  
العودة . يصارعون في تشردهم غصبة الرياح المسعورة . هزة الأحداث  
الدائمة .. البرد .. القائظة . الجوع . العرى . وأشباح الموت وهي تملأ آفاق  
دنياهم أينما توجهت أنظارهم ..

أين هؤلاء الإخوة اللاجئون من أعيادنا التي نقضيها . ونحن نتغنى بلذة  
العيد وبمتعة العيد . إن فينا من تمضي أيام أعيادهم وهم مع المنيّة على  
لقاء .. مع الكفاح على موعد .. فحين تدق طبولنا نشوة بلقاء العيد .. ترقص  
أجسادهم وتتساقط على مذبح الحرية والحياة . لأن العيد كما عرفوه .. شعور

بالحياة .. إحساس بالمسؤولية .. بذل وعطاء .. بناء .. واستجابة .. ثم .. ونحن  
هنا نحتفي بالعيد .. هل نجد لدينا عيداً نحتفي به ؟

لقد ساءلت نفسي : هل وجدت عيداً .. ؟ فأجابتنني بكلمة ممطوطة  
طويلة : لا ..

إن أعيادنا كسل .. ملل .. ونوم لا ينقطع .. بحث عن أفراح لم توجد ..  
لأن أعيادنا لم توجد ..

كل ما نكسبه من أيام العيد يا « كجا » هو أننا نشبع نوماً .. نتخم من  
الإغراق في السبات الطويل .. فهل هذا في نظر الأعياد كسب يجب أن  
نعلنه في فخر ونتحدث عنه ؟

إن أعياداً لا تَهْبُ إلا الملل .. إلا الكسل .. وإلا الإغراق في نوم طويل هي  
نفسها الأعياد التي لا تكفكف دمعاً .. لا تبريء جراحاً .. لا ترد ظلاماً ..  
لا تدفن حقداً أو كراهية .. لا تشيع بين الناس روح المحبة والأخوة ..  
والألفة .. هي نفسها الأعياد التي تمر بنا كل عام .. أو نمر بها .. ولكننا لا  
نتفق معها على هدف أو معنى .. لأننا لم نعرف بعد معنى الأعياد .. في  
قاموس الحياة الحي ..



# المنديل الحلو

الزمان : ١٣/٧/١٣٨٠

الوقت مساء ..

المكان : شارع الملك عبد العزيز (البطحاء) بالرياض :

البطل : شاب يقود عربة (حنطور) .. عمره دون الثلاثين وفوق

العشرين ..

لاقيته «يا كجا» وكان حاره الشاب ينهب الأرض بخطاه الواسعة وهو يسحب العربة الخشبية التي تراكمت فوقها بقايا من أسمنت وطعام . وآثار فحم .. متجهاً نحو الجنوب .. وكان يغني بصوت فيه رنة الظفر .. والفرحة والكسب ..

كان يغني أغنية طالما سمعناها من حنجرة «عبد العزيز محمود» .. المطرب المصري المعروف .

كان في يده كيس من الخيش يملأه الغبار .. وتتناثر في لوائحه شقوق وثقوب صغيرة !

كان الخيش القديم في قبضته اليسرى .. وعصا حاره في كفه اليمنى .. وكان يغني ..

«منديل الحلو .. يا منديلي» !

والتفت نحوه .. وكنت أبتسم .. ولاحظ الابتسامة التي تبرجت فوق

شفتي .. وقال : «ما الذي يضحكك» ؟!

واتسعت رقعة البسمة على وجهي .. كان كل شيء من وجهي يتسم ..

في .. عيني .. وحتى ملامح الكلمات التي كنت أجيبه بها وأنا أقول

له : «المنديل الحلو .. أهذا المنديل الحلو الذي تناجيه ؟»

وحاول حمارة أن يتخطى مكانه .. لعلّي أرعجته بكلمتي تلك فضاقت بها .. إلا أنه زجره ليقف .. فوقف الحمار مكانه في أدب وطواعية !  
والتفت الشاب إليّ وعلى ملامحه أكثر من معنى واحد للتساؤل .. وقال :  
« وهل أنت أعمى بحيث لا تبصر شيئاً أمامك ؟ »  
وقلت له : « لو كنت أعمى لتخيلت أن في يمينك منديلاً تغنى له .. ولما ضحكك .. »

وحلق في وجهي بسرعة ونهم .. ثم ضحك .. أطلقها ضحكة مسموعة من فمه .. وقال :

« وماذا في يدي .. إن كنت صحيحاً تبصر ؟ »  
وأجبت .. « ( في يدك كيس من خيش وبه ثقوب .. هذا كل ما أرى ، أليس كذلك .. ؟ »  
وهز رأسه في تعجب وإشفاق وقال :

« وأي منديل تريدين أن أغني له أيها الرجل ؟ .. أَلْمَنْدِيلُ القُبْلُ وأحمر الشفايف ؟ ! أَلْمَنْدِيلُ الأبيض الذي تحفون به أيها المتمدون المترفون عرق تواكلكم وتكاسلكم .. ؟ ! .. أم هذا المنديل الخشن الكثيف الذي أمسك به في يدي فأكفكف به عرق الحاجة .. عرق الجوع .. وعرق السعي الحلال المتواصل ؟ ! .. إن هذا الخيش الذي في يدي لو تكلم لقال لك إنه أبلغ منديل .. وأوفى أداة تحفف بواسطتها كل مظاهر الإعياء .. والجوع والحرامان ! »

ولاحظ أن البسمة العريضة التي كانت تغطي وجهي تحولت في سرعة إلى بسمة أخرى لها معنى آخر .

بسمة غرابة وعجب . تحولت إلى بسمة ثقة وإعجاب ! وقال لي ، وكان يحك شعر رأسه المتناثر فوق هامته بقبضته اليسرى الخشنة ..  
« وما هو رأيك بعد الذي قلته .. ؟ .. هل عرفت المنديل الحلو ؟ .. »

المنديل الذي أحمل به .. المنديل الذي يعينني .. المنديل الذي يغنيني عن  
مناديلكم أيها المتمدون المترفون .. وعن صدقاتكم أيها البخلاء ..»  
وأدرك من هزة رأسي أنني عرفت المنديل .. وأني أبصرت المنديل الذي  
كان يغني له بكل عمق .. أدرك أنني اقتنعت بشيء قاله .. أنني أفحمت  
أمامه .. ورفع فجأة عصاه القصيرة وأهوى بها فوق ظهر الحمار الشاب الذي  
راح يطبع خطاه السريعة على إيقاع النغم الجميل .. على الصوت الواثق  
الذي تملأه رنة الظفر، والفرحة والكسب .. وكان يغني من جديد وقد  
أمسك في يساره بكيس الخيش المملوء غباراً وشقوقاً:  
«منديلي الحلو.. يا منديلي»

هذه يا أخي قصة مواطن فيلسوف تضاءلت أمامه كل أفكاره  
وخواطري .. كنت أمامه كالطالب الصغير أمام أستاذ كبير مملوء فلسفة  
وعمقاً ودراية ..

لقد آمنت أن هذا الشاب فهم «المنديل الحلو» أكثر مما فهمته وفهمه  
الكثير من الناس .. فهمه .. وغنى له في حب لأنه، منديل لا كالمناديل التي  
تملأ بها جيوبنا لنجفف بها عرق الفشل، أو الخجل، أو التواكل .. ولكنه  
منديل خشن كثيف يجفف به ومنه عرق الإعياء .. والجوع .. والحرمان ..  
يقضي به على ذلك العرق ومن أجل مواصلة الكسب والكفاح في سبيل لقمة  
العيش الحلال .

لقد أحببت تلك الرغبة لشيء واحد فقط .. هو أنها تذكرني بقصة ذلك  
الشاب .. وبالمنديل الخشن الذي يمسك به في يساره .. وبقصة كفاح  
مشروع .. وفهم رائع لسبل الكسب والكد والعمل ..  
إنني أتمثل دائماً ذلك الشاب .. وذلك الخيش .. وذلك الحمار  
المكافح .. ثم ذلك الصوت الواثق بمستقبله وبنفسه وهو يغني .. ويغني .. في  
ثبات، وإصرار وعزم ..

«منديلي الحلو.. يا منديلي» !

# افتحوا عيونكم المطبقة أيها الآباء

افتحوا عيونكم المطبقة أيها الآباء  
نعم افتحوها أيها الآباء لعلكم تبصرون .. افتحوها فطريق الأنين  
طال .. وجدول الدموع امتد .. وهتافات الجزع والفرع ملأت عنان السماء  
تلعن الظلم والظالمين ..  
افتحوها أيها الآباء .. وأطلوا منها على الواقع الذي نعيش فيه على  
أعصابنا .. وارتفع فيه على أوصابنا .. ونجح فيه عن جادة العقل . وعن  
طريق الرحمة والإنصاف !  
الفتاة نسوقها إلى زوج لا تريده .. لا تطيق الحياة معه .. إقدام على  
خطة انتحارية متعمدة .. ورهيبة !

الفتاة في العشرين من عمرها يا « كجا » أو أقل نبيعها لابن السبعين أو  
الثمانين ، تحدّ لكل المشاعر الكريمة البريئة التي ولدت وراحت تتدرج على  
سلم الشباب .. وتسبح مع أطيافه في انتظار الفأل الشاب .. الفأل الذي  
يغمرها فرحة .. ويعمرها حياة .. وينصفها حباً ..

الفتاة في العشرين من عمرها أو أقل نختار لها الطريق .. نملي عليها  
الجادة التي هي من حقها دون أن تختار .. ودون أن تقبل .. ثم لا يهمننا وقد  
ملأنا جيوبنا بالثمن .. لا يهمننا مصير تلك الفتاة مع زوجها الهرم المحطم  
الكيان .. أو مع زوجها الشرس المحطم الإنسانية .. لا يهمننا أن نفتق من  
دموعها .. أن تسهر مع النجوم لتناجيهما بمآقٍ ملتناعة حزينة وبإجهاش مر لا  
ينقطع ، لا يهمننا أن تفقد السعادة ، أن تفقد الرحمة .. أن تطرد من بيتها لأنها

ناشر، ليكن قبض ثمن لها من جديد في زواج آخر.. لا يهمننا أن تفر لترتمي في أحضان الخطيئة؛ لأنها افتقدت وهي الشابة المتفجرة البراكين، افتقدت دفء العاطفة.. وسمات الشباب، وابتسامة الأمل في شيخ محطم، تنم نظراته عن شبح مذعور هب من بين مقابر الموتى..

لا يهمننا أن تنقم من حياتها.. أن تفكر بكل القيم بعد أن تجاهل والدها أو غير والدها الاستجابة لقلبها.. لدموعها.. وهي تتوسل إليه ألا يقدمها قرباناً لمذبح أطماعه.. فتتعذب.. وتذوب وقد صهرتها الليالي السود.. وأماتت فيها كل رجاء.. وحب.

لا يهمننا أن تنسى كل فضيلة لأن الفضيلة في حبا.. وفي قلبها.. وفي إرادتها للحياة قد نخرت على أيدينا ونحن نعلم.. ونحن لا نعلم..

لا يهمننا أن تنتحر وتلقي بنفسها في بئر.. أو من فوق سطوح المنازل كالذي أوردته مشاكل كثيرة لنا تضمها قصص الشاكين.. وأوراق الباكين.

لا يهمننا أن تهيم على وجهها وقد فرت من سجنها الذي سيقى إليه كرهاً! ثم لا يهمننا نتائج التشرد وما تجره من ويلات وخطوب وبلايا.. كل شيء نسيناه أيها الآباء.. أو تجاهلناه.. عفا الله عنا..!

نسينا أن الجرائم الخلقية.. الكثير من تلك الجرائم تنبت من مزرعة أعمالنا وإهمالنا لحقوق فلذات الأكباد.. حين نسوق عذراء بريئة في عمر الزهور.. وفي تفتح الحياة، نسوقها إلى هيكل متهالك محطم، تشهد له بالحياة فقط عيناه الشاحبتان الضيقتان المتراقصتان.. وخطاه.. خطاه المجاهدة المكدودة..

نسوق تلك الوردة المفتحة إلى عود يابس حناه الخريف، ثم يقول لتلك الوردة: «املئي شفتيك قبلاً.. وقلبك أملاً.. وعرضك عفة وطهرًا!»



وأنتى لوردة متفتحة أن يطفىء لهيب حبها وقلبها عود مقوس لا مجرى فيه  
لماء الحياة وروائها .. أنتى لشابة في الخامسة عشرة أو في العشرين من عمرها  
أن تجد السعادة التي تهفو إليها .. الحب الذي تنشده من جسد بارد يقف على  
حافة القبر مواتاً وتبدلاً .. ثم ننسى كل شيء عن تلك الفتاة .. ننسى أن لديها  
طاقة مكبوتة من طاقات الجنس .. طوفاناً سينحدر إن لم يجد السد الحكيم  
العظيم الذي يحفظ عليه التهرب والضياع .. ننسى أيها الآباء كل شيء عن  
الفتاة .. ننسى أمانيتها المقبورة .. أحاسيسها المكبوتة .. أصواتها المبحوحة ..  
دموعها الصامتة .. تظلمها من شبح لا تجد لديه كل ما تريد .. ولا بعض ما  
تريد .. ننسى ذلك .. ثم نطالبها أن تلتزم العقّة فلا تزني .. الطهارة فلا  
تعصي .. الحصانة فلا تتلوث .. وكأنما كنا بالذي نرتكبه في حقها ندفعها إلى  
الزنى، إلى العصيان، وإلى التلوث .. إلى كل شيء ينكره الدين ويجازي  
عليه ..

ليتنا تذكرنا الأحداث وما يجري .. ليتنا لا ننسى .. ليتنا لا نجعل  
الأمس القريب وقصصاً من الأمس القريب، كلها تتحدث عن امرأة وأكثر  
من امرأة باعت فرجها للشيطان ورجعت .. لاقت جزاءها، لأنها وهي المرأة  
المشوبة الجسد سبقت إلى ابن السبعين أو الثمانين .. ولما لم تجد لديه ما  
يطفىء لهيب جسدها .. ولما لم تستطع كبت جهام ذلك الجسد راحت توزع  
عفتها بين شيطان وآخر، لتنسى في جسدها كل شيء إلا رغبة الجنس .. إلا  
نداء الجسد .. وكان ما كان من نهاية لكل من باع جسده للخطيئة طائعاً أو  
مكرهاً ..

أيها الآباء شيئاً لله .. شيئاً لشريعتنا السمحة التي تفرض على كل أب  
أخذ رأي ابنته .. وموافقها فيمن تتزوج ..

إن الزوج لها .. ليس لنا .. فلم نفرض عليها زوجاً لا تريده لأنه في

عمر جدها الطيب الذكر.. وعمر جدتها التي لا تعي ما يدور حولها من حياة؟

إن الزواج لها.. ليس لنا.. فلم نفرض عليها زواجاً لا تريده.. لأنها تبصر فيه صورة المآثم.. وتشيع الروح.. وقبر الجثمان أمام جدران التردّي والتّحدّي؟

أنصفوا أيها الآباء واقع بناتكم.. هَبُوا أيها الآباء — على سبيل ضرب المثال — هَبُوا أن المرأة هي التي تخطب الرجل وليس لأحد من الرجال حق في أن يختار الزوجة.. هَبُوا أن والد أحدنا جاء إلى ابنه البالغ من عمره ثمانية عشر عاماً وقال له:

« إن فلانة جدة فلان.. أو أم فلان، والتي تبلغ من عمرها السبعين جاءت تخطبك.. وليس لك إلا القبول..».. هَبُوا، أو تخيلوا أن شيئاً من هذا جرى بالنسبة لأحدنا.. ماذا سيكون موقف ذلك الشاب.. نعم.. وكيف سيتصرف شاب دون العشرين حين يوحى إليه أن عجوزاً ملأت وجهها التجاعيد خطبته وستزوجه، سيزف إليها على الرغم منه، لأن والده قبل تلك الخطبة طمعاً في مال تلك المرأة.. ولأن ذلك الشاب لا يملك من أمره شيئاً..

نعم أقولها للمرة الثانية.. هَبُوا أن أحدنا هو ذلك الشاب.. كيف سيتصرف؟ إنكم تعرفون أيها الآباء.. تعرفون جميعاً كيف سيتصرف.. سيقتل نفسه.. أو سيقتل زوجته العجوز الشمطاء التي فرضت عليه حبها وهو لا يحبها ولا يطيق لها شمّاً ولا اسماً..

وحين لا يفعل ذلك مع نفسه، ولا مع عجوز خطبته وزوجته، فإنه لن يرعوي في أن يبحث كل يوم عن امرأة يرتمي في أحضانها ليشبع رغبة جنسه،

ولينسى ساعتها الصورة المريعة الموحشة التي تنتظره داخل عتبة داره.. في  
بلادة، وموات، ووحشة..!

وحين لا يقوى على شيء من ذلك كله.. فلن يعجزه الفرار من نار تحترق  
بها أعصابه في بطء ومرارة مدى الحياة..

قلت الذي قلت أيها الآباء.. كي يعرف كل واحد منا أحاسيسه حين  
يتجرع مرارة النكبة، وحرارة المأساة والفجعة.. فكلنا بشر.. الذكر والمرأة  
أخوان.. سيان في أحاسيسهما.. في عواطفهما، في رغبتها.. وفي بحثهما عن  
السعادة والحب.. عن الزواج المثالي السعيد!

وإذا فلتنق الله.. أيها الآباء.. ولننصف فلذات أكبادنا في حق شرعه  
الدين.. وأيده العقل.. وطالبتنا به مسؤولية الحياة.. وروح المجتمع..  
وعامل بناء التكوين الصالح..



# خواطر عن الإنسان

مسكين .. وألف مسكين هذا الإنسان .. «يا كجا»  
سذاجة .. ضعف .. تخاذل .. ومع ذلك كله طغيان .. عبودية، وتقديس  
للذات .. عبادة الأطماع .. أبداً لا يعترف بخطأ، فهو في منظار نفسه كما  
يراهها أنموذج رائع للكمال وللجمال ..  
أبداً لا يؤمن لغيره بالحق، فهو يرى كل شيء من نصيبه .. من نصيبه  
وحده .. فقط .. وأبداً لا يرحم وكأنما كان في الأرض .. وكأنما وضعته  
الإرادة جلاداً.

ينتزع من يده الموت للناس ..  
ومن أنفاسه اللهب للناس ..  
ومن خطاه الرجفة للناس ..

مسكين .. وألف مسكين هذا الإنسان .. «يا كجا»  
نسي أنه مخلوق فتعالى على البشر، على الضعفاء، ولا نقول على  
الضعف!

نسي أنه أداة صغيرة ساذجة مزجت بمادة الاختبار فظنها الاختيار،  
وساقته أهواؤه .. دفعته إلى الإجرام .. الخطيئة والكفران ..  
ونسي أنه إنما خلق ليعمر الأرض ..  
فإذا بذلك المنجل يحوله إلى صاروخ ..  
وإذا بتلك الدابة الهادئة البريئة يحولها إلى قاذفة لهب ..  
وإذا بطريق الحياة .. طريقها الرهيب تملأه القوى الكافرة .. معاول  
الفناء والدمار .. الحديد والنار! ..

وهكذا فهم (الإنسان!!) الساذج الحياة لهباً وناراً..  
ونسي أنه الضحية.. الفريسة لذلك اللهب ولتلك النار..  
الضحية التعسة الذليلة الهوجاء..  
مسكين.. وألف مسكين هذا الإنسان.. «يا كجا»

وهو في فقره يقدر الفقراء. ويلعن المادة، ولكنه وقد أشبع بالمادة أبداً  
لا يؤمن بفقر. وإنما ينسى ذلك كله ليعمر في قلبه سلطان المادة.. وفي هيكله  
هيكلا.. صرخات الجشع. النهم. العربة والمجون..

«مسكين.. وألف مسكين هذا الإنسان.. «يا كجا»  
وهو في حاجة إليك يقبل الأرض بين يديك.. وحين لا يحتاج إليك  
حتى لو كنت في غنى عنه- سيشهد في شبحك الصاعقة.. صورة الأبالسة..  
الشياطين.. ولن يرد عليك السلام.. حتى السلام وهو بلا ثمن، فهو في  
غنى عنك.. نعم في غنى عنك حتى بالسلام!

«مسكين.. وألف مسكين هذا الإنسان.. «يا كجا»  
يعرف وهو القوي أنه أخطأ، تعتمد الخطأ، فيأبى أن يقر في حقه الخطأ..  
وحين يخطئ غيره تنور من حوله زبانية العذاب.. تزجره.. يلفه الظلام  
الثقيل.. ولم؟! لأنه ضعيف، لأنه أعزل، لأنه لا يملك أن يقاوم.. ليس  
بقوي..

مسكين.. وألف مسكين.. هذا الإنسان.. «يا كجا»  
ثار مع أهوائه فستر عن عينيه وعن قلبه اشعاعات اليقين والعقل.  
وثار مع نزعاته التي استمدتها من شرعة الغاب حباً في حلقة الأفق!  
(مفاهيمه السوداء) ومطامعه السوداء.. وتجاهل.. نسي أنه إنما خدع  
نفسه..

وخاصم الفكرة.. قيدها.. فبدت من حوله طريحة لا خيوط لها.. كليله

لا خطوات لها .. وعلى الرغم من كل هذا .. من كل هذه الأخطاء تصك  
أذنيه في صفاقة ترنيمته الحمقاء .  
«أنا إنسان!»

مسكين .. وألف مسكين .. هذا الإنسان .. «يا كجا» :  
أحبّ نفسه .. ذاته ، فكان هو (الحب المريض الأهوج)  
وقدس هيكله الفارغ . فكان الشيع من نصيبه .. وحين سأله سائل :  
«ونحن ؟!» أرغى وأزبد . فليس من حق غيره أن يسأل .  
مسكين .. وألف مسكين هذا الإنسان .. «يا كجا»  
عرف الدنيا فكانت له مطيّة ..  
وعرف المبدأ فاتخذ منه لمطامعه شراكاً وشباكاً ..

شيطان في صورة بشر ..  
في صمته يطل الفزع ..  
في هدوئه تزججر العاصفة .  
في بسمته ترقص التكشيرة .  
في قبلاته ألسنة اللهب المحرق .  
مسكين .. وألف مسكين .. هذا الإنسان ! .. «يا كجا»

يرى في ذاته الكمال .. الكمال بكل صوره وألوانه .. وحين تعرّفه نفسه ..  
حقيقته التي نما منها .. إليها .. أصله الذي أوجد منه في ضعف .. لا تجد من  
أعماقه .. أعماقه المجنونة غير هذا الصدى .  
«أنا إنسان»

مسكين .. وألف مسكين .. هذا الإنسان .. «يا كجا»  
يعرف الخير، ولكنه يحب الذات .. وفي حب الذات تتلاشى بوارق  
الخير ..

تجده الإنسان الطيب.. مع الفقر، وعند الحاجة!  
وتجده الملك المرهف المشاعر فوق بساط الألم.. عند حرقه الأنفاس!  
ولكنه حين يجد المال، ولكنه حين لا يلم به ألم، يتمص الغول شكلاً  
وحقيقة! يتمص دماء البؤساء.. ويمتص البقايا الباقية من أنفاس  
(المصدورين)

لا .. لا .. وألف لا يا إنسان!!  
أبداً لن تكون .. لن تكون ذلك الجبار .. ولن تكون ذلك العملاق..  
ولن تكون ذلك المخلوق الصالح الذي أوجدت من أجله الأرض .. لن تكون  
وفي نفسك الغرور.. الخيلاء.. البطش.. وامتهان حق الضعفاء من البشر!  
إنك إنسان .. إنسان (حي) متى حكمك الحب .. الرحمة .. الإيثار..  
العدالة.. وحب الخير من أجل البشر..  
متى قدست الحياة الإنسانية الرحيمة .. أيها الإنسان!



## غول ومشكلة الزواج

( يانصيب ) ..

هكذا لذّ لي أن أسمّيه يا صديقي «الكجا» .

يانصيب . وبالحرف الواحد . فهو إقدام على مجهول . ليس إقداماً فقط ، ولكنه شراء . دفع ثمن باهظ ، وقيمة لمجهول . ولنفسر هذا :

فالشاب مُقَدَّم على زواج . وغير الشاب أيضاً مُقَدَّم على زواج . وفي ( الزواج ) تكمن مأساة ( اليانصيب ) .

لم ترها .. ولن تراها .. وإنما سيسوقك الخطر . سيذهب بك ذلك النصيب . أو قل إن شئت سيطوح بك ، فإذا بك تحلم بالحقيقة .. وإذا بك تحقق الأحلام الغامضة .. وإذا بتلك الزوجة تضم إلى جوارك تقاسمك أنفاسك .. معاشك .. بل وحياتك كلها .

ولم تكن الزوجة بذلك البعير ، ولا بتلك الخراف ، حين لا يعجبك منها المظهر .. أو حين لا يعجبك منها المخبر ، تسوقها إلى السوق . تأخذ فيها الثمن الذي دفعت ، لتبحث بذلك الثمن عن بعير أو عن خراف آخر ، تجد فيها المظهر ، أو تجد فيها المخبر .. لا . لم تكن الزوجة بذلك البعير ولا بتلك الخراف ، وإنما هي ( إنسان ) ستساق إليك وهي تحمل نحوك حباً . وأملاً . وحقيقة .

حباً في أن تعيش .. تعيش هي إلى جوارك عمرها كله . وحبا كله .

وأملاً في أن ترعاك كما ترعاها . ترعاك كزوج وأب . وترعاها أنت كزوجة وكأم .



وحقيقة. حقيقة في أن يمتد بها العمر لتكون أمًا لأولادك تسعد إلى جوارهم وإلى جوارك أنت. وهكذا وبتلك الصور.. وبأكثر من تلك الصور، تساق إليك حواء.. حواء الغامضة فوق مركب الأيام.

وتأتي أنت .. أنت بنزعاتك وحبك. إنك تطمع في تلك الحوراء.. الهادئة.. الطيعة.. والمدركة لمسؤولياتها الزوجية. والتربوية. تطمع في ذلك كله.. تطمع في أن يجسد لك الجمال، إلى جانب الهدوء والطاعة والاطلاع، فتمد قدميك. وتمد معها أملك ونقودك في قوة وإصرار أكثر مما لو كنت تساق، وإذا بك تقرقع باب هذا وباب ذاك. تسأل الشيخ. وتسأل غير الشيخ. تخطب من هذا وذاك كريمته أو أخته.. ولن؟؟ لك أنت. وكيف لا يكون ذلك وقد قال لك عنها (أبوك): (إنها ملك صغير تفيض خفة وأنوثة) وقالت لك عنها أمك: (إنها إنسانة. ربة بيت. وفينوس الأسرة في صورها وتقاطيعها.)

أما خالتك. أما عمك. وأما جدتك. وأما أقرب قريب لك فإن لتلك الزوجة التي وقع عليها اختيارهن لك ألف معنى ومعنى، إلا أنها جميعها معانٍ تصور لك الجمال، وتجسد لك الكمال، وتبني أمام عينيك هيكل السعادة، وصومعة الحب، ومعقل الأحلام.

ومن أين لك يا «كجا» الا تستشيط فرحة وجنوناً. من أين لك وقد أجمع أبوك كما أجمعت أمك. وأجمعت خالتك كما أجمعت عمك وجدتك وأقرب قريب لك على أن زوجتك.. زوجتك المنتظرة هي أمنية كل إنسان: جالاً، وطباعاً، واطلاعاً.

إنك تركض كما يركض أي إنسان أدرك كنزاً وخاف أن يسبقه إليه أحد. تركض في جنون وإرهاق، حتى لا تكون من نصيب الناس، وحتى لا يتلقفها حظ قبل حظك. وتجد وتكد وقد ضمتك ظروفك الغامضة الرهيبة.

وقد ضمتك ظروفها الغامضة الرهيبة أيضاً. وقد ضمتك إلى جوار والدها وولي أمرها تخطبها منه. وإذا بها تسارع إلى حوزتك وإلى أحضانك بعد يوم أو أكثر من يوم. وقبل أن تشهدها، قبل أن تزف إليك تستشفك الأحلام بليالي شهرزاد. بأمسيات كليوباترا. بل وبهمسات الجندول المختال في كبرياء فوق صفحة الدانوب الأزرق عند السحر.

إنك ستعيش في حلم.. حلم مغرق في السعادة ولا شك.. لن تؤمن فيه بدموع. ولن تؤمن معه بآهات ولا بذكريات إلا ما كان منها حولك، يعمر حبك إلى جوارها. ويعمر قلبك إلى جانب قلبها. ويعمر غرسكما إلى جوار الساقية الزاحفة على صدر الحياة.

هكذا سيدولك يا «كجا» قبل أن تزف إليك (حوراؤك) على حد قول أمك، وعلى حد قول أهلك أو غير أهلك، لأنهم كما يقولون (أروها) ولأنهم سمعوا عنها. ولأنهم أحبّوها هم، وقاسوا بحبهم حبك. فنصبوا لك الشراك دون قصد.. وحين تحتضنك الحقيقة لا تلبث إلا أن تغلق قلبك. قلبك المفتوح للحب. وإلا أن تغلق عينيك.. بصرك المفتوح للجمال. أما قدماك. وأما تهربك من الحقيقة.. الحقيقة السوداء، فإنك لن تلبث لحظة واحدة. وإنما ستجري. ستركض وكأنما يسوقك إعصار. وكأنما يتتبع خطاك غول ناقم.

إنك لا تود بعد الذي كان أن تشهد بيتك بعد تلك الليلة. لا تود أن يضمك إليها نصيب مظلوم. ولا أن تجمعك وإياها رغبة، ولا أن يوفق بينكما نصيب.. أعني (يانصيب).

فن جالها ستعود بالنكسة.  
ومن طباعها ستخرج بالنكسة.  
ومن مؤهلاتها ستزود بالنكسة أيضاً.

ولن تجد لأملك .. لأبيك .. ولغير أملك وأبيك من جواب -بعد الذي كان- غير إيماءة مبتورة مجذوة المعنى . وغير عبارة تقليدية هي كل ما ستطرق أذنيك ..

( إن شاء الله تكفير يا وليدي . والخليفة في الباقي . )  
ولم التكفير؟

نعم لم الكفر؟ إنني لم أجرم وإنما أجرم غيري .. وفقط دفعت الثمن غالباً من عرقي وكذي .. ومن سعادتي التي أودعتها أعماق التراب ..  
وقد لا تكون يا « كجا » قد لا تكون مليونيراً .. إذاً لكان في حكم الهين أن تعيد بناء صومعتك من جديد .

وقد لا تكون ميسور الحال .. إذاً لكان في الإمكان أن تعيد لنفسك الكرة على ضوء من عقلك .. من درايتك .. ومن نطق عينيك ..  
قد تكون عاملاً في شركة ( الزيت ) مثلاً . أو في مؤسسة أخرى تتقاضى الأجر لتصرفه على متطلبات يومك . قد تكون من هذا الطراز ، ومهر الزواج يتطلب منك أن توفر له عشرة آلاف . أو ثمانية آلاف دون أن ينقص قرش واحد ..

وما الحيلة إذاً وأنت على شفا جرف هار؟!  
إنك إن أبقيت عليها حكمت على أمانيك بالموت . على حبك بالاندثار . وعلى قلبك في الأيخفق في طرب ونشوة . دائماً سيظل في صمته الثقيل يعد ساعاته أياماً . ويعد أيامه أعواماً . ويعد أعوامه أجيالاً ، تقنعها الكتابة والمرارة والحمران . أما هي فقد احتفظت لحياتها ( المظلومة ) بآلا تكون مشردة على الرغم من أنك لا تحبها . إلا أنها في حمايتك . في حصانتك ، وفي دارك ، ومحسوبة عليك .. تعيش بلا حب .. وبلا أمل في الحب . وإنما في حرمان طويل .. طويل كطول حياتها .

وحين لا تبقي عليها أيها الصديق المحنون ستذكر العشرة الآلاف . أو  
الثمانية الآلاف . ستذكرها وستبتلع ريقك في إجهاد وغصة .

فهذه العشرة أو الثمانية الآلاف إلى مجهود .. مجهود العشرة أو الثمانية  
الأعوام . نعم العشرة أو الثمانية ستقضيها بلا زوجة ، قابلاً في وحدتك . في  
جرعاتك . في نصيبك المظلوم . وفي كدك المتواصل أيضاً .  
ثم لا تلبث وأنت في دوامة من أفكارك الثقيلة أن تسمح دمة في ثقل  
أيامك . بله عمرك ..

ماذا سيكون لو أنني بعد أعوام أو بعد أيام أمكنني الحظ من جمع مهر  
جديد لعروس جديدة ؟ هل سأساق كما تساق البقرة إلى مربطها ؟ وهل  
ستساق المسكينة .. أقول المسكينة لأنها بريئة لا ذنب لها . هل ستساق كما  
سأساق أنا ليجمعني وإياها نصيب غامض كذلك النصيب الذي دفعت إليه  
عند أول مرة دون أن أراها ؟ دون أن أتطلع إليها ، وسأكتفي فقط عن ذلك  
كله بتلك الترنيمة المبتورة التي يقولها قريب أو بعيد ..  
( إنها تطرب العين . والغلمان . قر ليلة خمسة عشر ) .

لا شك أن هذا هو واقعنا في أساليب الزواج .. واقعنا العريض الذي  
يصور في أذهاننا مظاهر من الملابس والتقهر .  
إن الدين يحرم القمار .

إن الدين يحرم (الانصيب) .

إن الدين يحرم أن يباع الغائب دون أن تراه . دون أن تخبره ودون أن  
تقول وقد شهدته : ( قبلت ) .

وليس أصح ولا أجدى من أن يكون التشريع عادلاً في مقاييسه ونظمه  
وأحكامه بالنسبة للحياة والأحياء .. لقد سمح رسول الإنسانية صلوات الله  
وسلامه عليه . سمح بل وأوصى وألح في أن يشهد الرجل مرأى زوجته قبل  
أن تزف إليه وأن يتزوج .

إنني أبحث يا « كجا » في حيرة .. أبحث عن مقاييس واقعنا من الدين بالنسبة لأساليبنا الراهنة في الزواج .. أين هي ؟ وهل طبقت ؟ وهل هذه الأساليب العجفاء ، وتلك الحواجز الشائكة التي تقف حاجزاً بين أن يشهد الرجل - وأعني بذلك الرجل العاقل - أن يشهد مرأى زوجته ولو بصورة سرية ييسره لها ولي أمر تلك الفتاة ؟ ..

وبعد : فإني أشهد تيار الحاضر لشبابنا بل ولشبينا بدأ يتجه نحو البلاد المجاورة . ناشداً في أحضان تلك البلاد الرحمة .. الملك الذي يستطيع أن يراه قبل أن يقدم على الزواج به .. قبل أن يشتريه بمجهود أعوامه العشرة أو الثمانية .

فهل أدركت معي أين تكمن المأساة يا « كجا » !!!

إنني بمقدار ما ألوم أولئك الذين قذفت بهم الضرورة الملحة إلى نشدان (النصف الآخر) في ربوع البلاد الشقيقة أو الصديقة إنني بمقدار ما أعتب عليهم وقد تمردوا على أوضاعهم - أوضاعهم العقيمة طبعاً - فكُونوا بذلك الاتجاه جيوشاً متماوجة من العوانس البريئات في ظلمات بيوتهن .. إنني بمقدار ما أعتب عليهم أمتحهم الحق كل الحق في أن الأساليب الخاطئة كانت هي الدافع والسبب . هي اللعنة الرهيبة التي حالت بينهم وبين ما يشتهون .

إن موكب الحياة يتقدم .

وأحس من حولي وعلى شريط الحاضر . وشريط الأيام المنتظرة أكثر من نبرة موءودة . أكثر من تأوهات وأنين . أكثر من ابتهال مغرق في الدعاء انطلقت به حناجر البريئات ممن قوضنا نحن آمالهن . قضينا على سعادتهن . وعلى جهن المقيد بقيودنا . وبتحكماتنا . ومحبنا للسيطرة .

وسيأتي اليوم الذي ستضج فيه السماء رحمة بآلاف العوانس المغلوبات على أمرهن .. ومن يدري فقد ينتصر القدر ؟  
نعم ينتصر ورغم أنف الزمن .

إن غلاء المهر لعنة تقف في طريق النصيب . نصيب المرأة . إن علينا أن ندرك أن المرأة ليست بقرة ، وإنما هي (إنسان) . إنسان رحيم يحس ويتألم . يسعد ويشقى كأبي رجل . فلم هذه الظلامة الحمقاء في حقهن ؟

واللعنة الأخرى . اللعنة الكبيرة وهي من نصيب الرجل والمرأة على حد سواء . أن تساق الزوجة إلى الزواج . أن يتزوجها .

وقبل أن يراها . أن يشهد قوامها وملاحها . وكنت أعني أن يهيم له ولي أمرها الفرصة ليشهدها دون أن تشعر به ؛ إذ في ذلك الضمان الكافي لبناء مستقبل عائلي سعيد يغمره الوفاق والحب .

إنني أحس «يا كجا» أنك مظلوم . مظلوم مثلي . ومظلوم مثل أخواتنا وإخوتنا . مظلومون جميعاً ، وقد ظلمنا ذلك الفهم المشلول المحنط الذي تقيم عليه أساليب زواجنا الموجه ، ومداركنا المقيدة .

وما لم نتدارك بدافع ديني وعقلي سليم أساليبنا المشروعة في الزواج فإن مشكلة مجتمعنا ستتمو وستتطور وستعيد لتاريخنا أخطر نكبة مرت بأحياء .

وأخيراً .. أخيراً : معك لي سؤال . ولمن هذا السؤال ؟ إنه باسمي . باسمك . باسم الباقيات الشاكيات . باسم الرجل والمرأة . سؤال واحد نتوجه به إلى علمائنا .. إلى قادة الفكر والدين :

أين هو موقف الدين من مشكلة الزواج ؟  
وبعبارة أوضح وأصح :

هل يمانع الدين ؟ وهل لا يقر الزوج في أن يشهد زوجته قبل الإقدام على الزواج بها ؟؟

إن منطق العقل يؤيد ما نحن بصددده من أن في الأفق ضباباً من أخطاء ومغالطات ستجثم على واقعنا بحكم هذه المفاهيم الرعناء .. وسيكون لها آلاف آلاف الضحايا من الشباب ومن الشابات . وقد لا يسلم من ويلاتها

وأخطارها إلا نسبة ضئيلة.. ضئيلة، قد لا تبلغ عشر المعشار من المقدمين على  
(غول الزواج).

إن التبعة كل التبعة تقع على تلك الطبقة من الآباء المتزمتين - أعني  
بعض الآباء - وعلى أولئك الذين يدركون الخطر دون أن يعملوا من أجل درئه  
وتلافيه شيئاً..

وأخيراً من يدري ؟ فقد نبتسم جميعاً يا أخي وقد أشرق النور. نور  
الواقع.. ومات الخطر. ذهب ذلك الغول الذي يهدد كل أعزب وعانس..  
نعم من يدري ؟ فوكب الحياة، ودستور السماء. ونصرة العدالة أقوى من أن  
تتخاذل أمام رعونة الإنسان المتردد وأخطائه.. والمسلمون مازالوا بخير..







## فهرست

الموضوع	الصفحة
الكجا .....	٩
المزرعة الرهيبية .....	١٢
البصيرة التي لا تبصر .....	١٦
أغنياء أغنياء .....	٢٠
العيب أن لا تحاول الصعود .....	٢٤
القدرة على تغيير الأخطاء .....	٢٨
العيد .....	٣٢
الهازيء من الحياة .....	٣٦
لا شيء .....	٤٠
في المزاد .....	٤٤
حوار وحوار .....	٤٨
روح ومادة في الميزان .....	٥٢
الخير في الواقع .....	٥٥
أعمارنا .. أعمالنا .....	٥٨
نثر في كلمات .....	٦١
ليس عيباً أن تكون فقيراً .....	٦٤
المجتمع المثالي التعاوني في دنيا النمل .....	٦٨
كلنا عنوانها .....	٧٢
الدجاجة الفاضلة .....	٧٦

٧٩	هواة حقى .....
٨٣	من قاعدة الهرم لا من قته .....
٨٦	أيها الحجيج : أسمعونا أصواتكم .....
٨٩	وأيضاً العيد .....
٩٢	منديلي الحلو .....
٩٥	افتحوا عيونكم المطبقة أيها الآباء .....
١٠٠	خواطر عن الإنسان .....
١٠٤	غول أو مشكلة الزواج .....



## إصدارات إدارة النشر بتهامة

### الكتاب العربي السعودي

#### صدر منها :

#### الكتاب

#### المؤلف

- \* الجبل الذي صار سهلاً
- \* من ذكريات مسافر
- \* عهد الصبا في البادية
- \* التنمية قضية
- \* قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا
- \* الظمأ ( مجموعة قصصية )
- \* الدوامه ( قصة طويلة )
- \* غداً أنسى ( قصة طويلة )
- \* موضوعات اقتصادية معاصرة
- \* أزمة الطاقة إلى أين ؟
- \* نحو تربية إسلامية
- \* إلى ابتني شيرين
- \* رفات عقل
- \* شرح قصيدة البردة ( دراسة وتحقيق )
- \* عواطف إنسانية ( ديوان شعر )
- \* تاريخ عمارة المسجد الحرام
- \* وقفة
- \* خالتي كدرجان ( مجموعة قصصية )
- \* أفكار بلا زمن
- \* علم إدارة الأفراد
- \* الإنجاري ليل الشجن ( ديوان شعر )
- \* طه حسين والشيخان
- \* للتنمية وجهاً لوجه
- \* الحضارة تحدد
- \* عبر الذكريات ( ديوان شعر )
- \* لحظة ضعف
- \* الأستاذ أحمد قنديل
- \* الأستاذ محمد عمر توفيق
- \* الأستاذ عزيز ضياء
- \* الدكتور محمود محمد صفر
- \* الدكتور سليمان محمد الغنام
- \* الأستاذ عبد الله جفري
- \* الدكتور عصام خوقير
- \* الدكتورة أمل محمد شطا
- \* الدكتور علي بن طلال الجهني
- \* الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
- \* الأستاذ أحمد محمد جمال
- \* الأستاذ حمزة شحاتة
- \* الأستاذ حمزة شحاتة
- \* الدكتور محمود حسن زيني
- \* الدكتورة مريم البغدادى
- \* الشيخ حسين باسلامة
- \* الدكتور عبد الله حسين باسلامة
- \* الأستاذ أحمد السباعي
- \* الأستاذ عبد الله الحصين
- \* الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
- \* الأستاذ محمد الفهد العيسى
- \* الأستاذ محمد عمر توفيق
- \* الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- \* الدكتور محمود محمد سفر
- \* الأستاذ طاهر الزعخشري
- \* الأستاذ فؤاد صادق مفتي

\* الرجولة عماد الخلق الفاضل

\* ثمرات قلم

\* بائع التبغ

\* أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة

\* النجم الفريد

\* مكانك تحمدي

\* قال وقلت

\* نبض ..

\* نبت الأرض

\* الأمثال الشعبية في مدن الحجاز

\* أفكار تربوية

\* عن هذا وذاك

\* نقر المصافير ( ديوان شعر )

\* السعد وعد ( مسرحية )

\* قصص من سومرست موم

\* الأصداف ( ديوان شعر )

\* فلسفة المجانين

## تحت الطبع :

\* رسائل إلى ابن بطوطة ( ديوان شعر )

\* قصص من طاغور

\* السننورا ( قصة طويلة )

\* التاريخ العربي وبدابته

\* تأملات في دروب الحق والباطل

\* خدعتني بجها ( مجموعة قصصية )

\* أيامي ..

\* ماما زبيدة ( مجموعة قصصية )

\* مدارسنا والتربية

\* دوائر في دفتر الزمن ( مجموعة قصصية )

\* جسور إلى القمة

\* هكذا علمني وردزورث

الأستاذ حمزة شحاتة

الأستاذ محمد حسين زيدان

الأستاذ حمزة بوقري

الأستاذ محمد علي مغربي

الأستاذ عز يز ضياء

الأستاذ أحمد محمد جمال

الأستاذ أحمد السباعي

الأستاذ عبد الله جفري

الدكتورة فاتنة أمين شاكر

الأستاذ أحمد السباعي

الدكتور ابراهيم عباس نتو

الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي

الأستاذ أحمد قنديل

الدكتور عصام خوقير

الأستاذ عز يز ضياء

الأستاذ أحمد قنديل

الأستاذ سعد البواردي

الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي

الأستاذ عز يز ضياء

الدكتور عصام خوقير

الأستاذ أمين مدني

الشيخ عبد الله عبد الفتحي خياط

الأستاذ عبد الله بوقس

الأستاذ أحمد السباعي

الأستاذ عز يز

الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع

الأستاذ سباعي عثمان

الأستاذ عز يز ضياء

الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

\* عام ١٩٨٤ لجورج أورويل

\* مشواري مع الكلمة

\* وجيز النقد عند العرب

\* لن تلحد

\* خواطر جريئة

\* تاريخ الكلمة المعظمة وعمارها

\* الإسلام في نظر أعلام الغرب

\* قضايا .. ومشكلات لغوية

\* كلمة ونصف

\* ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز

الأستاذ عزيز ضياء

الأستاذ حسن عبد الحفي قرأز

الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي

الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ

الشيخ حسين باسلامة

الشيخ حسين باسلامة

الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

الأستاذ محمد حسين زيدان

الأستاذ محمد علي مغربي

## الكتاب الجامعي

### صدر منها :

\* الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية

\* الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق

( باللغة الانجليزية )

\* التومن الطفولة إلى المراهقة

\* الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا

\* النفط العربي وصناعة تكريره

\* علاقة الآباء بالأبناء ( دراسة فقهية )

\* مبادئ القانون لرجال الأعمال

\* الاتجاهات العددية والتنوعية للروايات السعودية

\* الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

\* مشكلات الطفولة

\* شعراء التروبادور

الدكتور مدني عبد القادر علاقي

الدكتور فؤاد زهران

الدكتور عدنان زهران

الدكتور محمد عيد

الدكتور محمد جميل منصور

الدكتور فاروق سيد عبد السلام

الدكتور عبد المنعم رسلان

الدكتور أحمد رمضان شقيلة

الدكتور سعاد ابراهيم صالح

الدكتور محمد ابراهيم أبو العينين

الأستاذ هاشم عبده هاشم

الأستاذ سيد عبد المجيد بكر

الدكتور محمد جميل منصور

الدكتور مريم البغدادي

## تحت الطبع :

\* أمراض الأذن والأنف والحنجرة

\* الفكر التربوي في رعاية الموهوبين

\* النظرية النسبية

\* الأدب المقارن

( دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية )

\* هندسة النظام الكوني في القرآن

\* الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية

الدكتور أمين عبد الله سراج

الدكتور سراج مصطفى زقروق

الدكتور لطفي بركات أحد

الدكتور عبد الرحمن فكري

الدكتور محمد عبد الهادي كامل

الدكتور عبد الوهاب علي الحكمي

الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر

الأستاذ نبيل عبيد الحلي وضوان



مطبوعات  
PUBLICATIONS

## صدر منها :

\* حارس الفندق القديم

\* دراسة نقدية لفكر زكي مبارك ( باللغة الانجليزية )

\* التحلف الإملائي

\* ملخص خطة التنمية الثالثة

للمملكة العربية السعودية ( باللغة العربية )

\* ملخص خطة التنمية الثالثة

للمملكة العربية السعودية ( باللغة الانجليزية )

الأستاذ صالح إبراهيم

الدكتور محمود الشهابي

الأستاذة نوال قاضي

الدكتور حسن يوسف نصيف

الشيخ أحمد بن عبد الله القاري

الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان

الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي

الأستاذ إبراهيم سرييق

الأستاذ علي الخرجي

الدكتور عبد الله محمد الزيد

\* تسالي

\* مجلة الأحكام الشرعية

( دراسة وتحقيق )

\* النفس الإنسانية في القرآن الكريم

\* خطوط وكلمات ( رسوم كاريكاتورية )

\* واقع التعليم في المملكة العربية السعودية

( باللغة الانجليزية )

صحة العائلة في بلد عربي متطور

الدكتور زهير أحمد السباعي

## تحت الطبع:

- \* الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام
- \* القرآن .. ودنيا الإنسان
- \* الوحدة الموضوعية في سورة يوسف
- \* الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية
- \* الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك
- \* ألوان
- \* عطر وموسيقى
- \* أضواء على نظام الأسرة في الإسلام
- \* وللخوف عيون ( مجموعة قصصية )
- \* سوانح وخطرات
- \* الحجاز واليمن في العصر الأيوبي
- \* نقاد من الغرب
- \* ماذا تعرف عن الأمراض
- \* جهاز الكلية الصناعية
- \* مساء يوم في آذار
- \* النباش في جرح قديم
- \* الموت والانتسامة
- \* مواسم الشمس المقبلة

- الأستاذ محمد أمين ساعاتي
- الأستاذ صلاح البكري
- الدكتور حسن محمد باجودة
- الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
- الأستاذ أحمد محمد طاشكاندي
- الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الأستاذ محمد اسماعيل جوهري
- الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الأستاذ أحمد محمد طاشكاندي
- الدكتور جميل حرب محمود حسين
- الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- الدكتور اسماعيل الهلباوي
- الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
- الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- الأستاذ السيد عبد الرؤوف
- الأستاذ عبد الله باقازي
- الأستاذ محمد علي قدس

## رسائل جامعية

## تحت الطبع:

- \* العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن
- \* القصة في أدب الجاحظ
- \* الخراسانيون ودورهم السياسي
- \* تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف
- \* نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون
- \* افتراءات فليب حتى، وبروكلمان على التاريخ الإسلامي

- الأستاذة أميرة علي المداح
- الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
- الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الأستاذة فوزية حسين مطر
- الأستاذ رشاد عباس معتوق
- الأستاذ عبد الكريم علي باز

## كتاب للأطفال

للأستاذ يعقوب اسحاق

لكل حيوان قصة

### صدر منها :

- القرد ..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الجمل
- الذئب
- الأسد
- البغل
- الفأر ..
- الحمار الأهلي
- الفراشة
- الخروف
- الفرس
- الدجاج
- البط
- الغزال
- الحمار الوحشي
- البيغاء
- الوعل
- الجاموس
- الحمامة

## كتاب للناسئين

وطني الحبيب

### صدر منها :

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

\* جدة القديمة

### تحت الطبع :

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

\* جدة الحديثة

الأستاذ عزيز ضياء

\* حكايات للأطفال

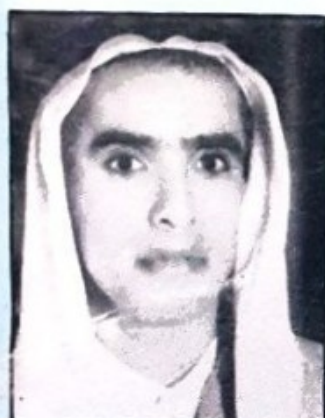
الأستاذة فريدة فارسي

\* قصص للأطفال



## English Books Published By Tihama

- ✿ Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.  
By F. M. Zahran  
A.M.R. Jamjoom  
M.D. EED
- ✿ Zaki Mubarak: A Critical Study.  
By Dr. Mahmud Al Shihabi
- ✿ Summary of Saudi Arabian  
Third Five year Development Plan
- ✿ Education in Saudi Arabia, A Model with Difference  
By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- ✿ The Health of the Family in A Changing Arabia  
By Dr. Zohair A. Sebai
- ✿ Diseases of Ear, Nose and Throat  
Dr. Amin A. Siraj  
Dr. Siraj A. Zakzouk
- ✿ Tihama Economic Directory.
- ✿ Riyadh Citiguide.
- ✿ Banking and Investment in Saudi Arabia.
- ✿ A Guide to Hotels in Saudi Arabia.



## المؤلف

- من مواليد مدينة شقراء عام ١٣٤٩هـ.
- حصيلته الدراسية توقفت عند المرحلة الثانوية من دار النوحيد بالطائف ..
- عمل موظفاً في القطاع الخاص بالمنطقة الشرقية ..
- أصدر مجلة الإشعاع عام ١٣٧٥هـ وهي مجلة شهرية استمرت عامين ثم احتجبت وكان صدورها في مدينة الخبر ..
- ساهم في التحرير والكتابة في معظم الصحف السعودية .. وفي بعض المجلات الأدبية العربية ..
- أصدر أحد عشر مؤلفاً .. قصة ، ومقالة ، وشعر إلى جانب ثمانية عشر مؤلفاً أخرى مهياة للطبع.
- شغل عدة وظائف رسمية آخرها مستشار تعليمي للشؤون الإعلامية بسفارة المملكة العربية السعودية في جمهورية مصر العربية بالقاهرة ..